ليوبي ليس من هواة البكاء

البكاء في ساحة المعركة: تحليل بكاء Liu Bei في ضوء الأحداث التاريخية وشروحات Pei Songzhi ورواية رومانسية الممالك الثلاث

وخُلاصَةُ القَولِ، فإنَّ المَصادِرَ التَّاريخيَّةَ لِلمَمالِكِ الثَّلاثِ، وَما دَوَّنَهُ بِي سونغتشي (Pei Songzhi)، مِن مَلحوظاتٍ تُثبِتُ أنَّ ليوبي (Liu Bei) لَم يَذرِفِ الدُّمُوعَ إلّا في سِتَّةِ مَواضِعَ. أمَّا في مَتْنِ الرِّوايَةِ "رومانسيَّةُ المَمالِكِ الثَّلاثِ"، فَقَد تَوَاتَرَت مَشَاهِدُ بُكائِهِ قُرابَةَ المِئَةِ مَرَّةٍ، مُتَفَرِّقَةً على ثَلاثينَ سَبَباً مُختَلِفاً. ويُبَيِّنُ المُؤَلِّفُ أنَّ البَاعِثَ الرَّئيسَ على بُكاءِ ليوبي (Liu Bei) في المَدوَّناتِ التَّاريخيَّةِ إنَّما كانَ رِثاؤُهُ لِذَوِي المَواهِبِ وَالكَفاءاتِ.

أمَّا ما وَرَدَ في المَتْنِ الرِّوائِيِّ، فَقَد أفرَطَ في تَصويرِ مَشَاهِدِ بُكائِهِ، مُستَهدِفاً إبرازَ خِصالِهِ النَّبيلَةِ مِن رَحمَةٍ وَاستِقامَةٍ، بِيدَ أنَّ هَذا التَّصويرَ قَد آلَ إلى الإخلالِ بِصُورَةِ **ليوبي** الحَقيقِيَّةِ، فَالرَّجُلُ، الَّذِي نَشَأَ في كَنَفِ الشَّدائِدِ وَالمِحَنِ، لَم يَكُن مِمَّن تَستَدِرُّ العَبَراتُ عَينَيهِ بِيُسرٍ، وَإذا ما تَتَبَّعنا سيرَتَهُ في المَدوَّناتِ التَّاريخيَّةِ، لَم نَجِدِ البُكاءَ مِنَ الخِصالِ المُميَّزَةِ لِشَخصِيَّتِهِ أوِ السِّماتِ المُلازِمَةِ لِطَبعِهِ،

إنَّ البُكاءَ تَعبيرٌ فِطريٌّ عَن خَلَجاتِ النَّفسِ وَمَكْنوناتِها، وَقَد غَدا بُكاءُ ليوبي، بَعدَ أن زَيَّنَتهُ وَصَوَّرَتهُ "رِوايَةُ المَمالِكِ الثَّلاثِ"، سِمَةً مُمَيَّزَةً لَهُ وَعَلامَةً فارِقَةً في شَخصِيَّتِهِ، حَتَّى أضحَى يُعرَفُ بِمَقولَةِ "إمْبراطوريَّةُ ليوبي - الَّتي نالَها بِالدُّموعِ"، بِيدَ أنَّ الحَقيقَةَ التَّاريخيَّةَ تَنأى عَن هَذا التَّصويرِ كُلَّ النَّأيِ. فَالمَدوَّناتُ التَّاريخيَّةُ تَصِفُ ليوبي بِأَنَّهُ "لَم تَكُن تَبدو على مُحيّاهُ أَماراتُ الفَرَحِ أوِ الغَضَبِ"، مِمَّا يَدُلُّ على أَنَّهُ كانَ ذا شَخصِيَّةٍ عَميقَةٍ مَنطَوِيَةٍ على نَفسِها، لا تُفصِحُ بِيُسرٍ عَن مَشاعِرِ البَهجَةِ أوِ السَّخَطِ أوِ الأسَى، وَعَلَيهِ، يُثارُ التَّساؤُلُ عَن عَدَدِ المَرَّاتِ الَّتي ذَرَفَ فيها ليوبي الدُّمُوعَ حَقّاً، وَما هِيَ المَكْنوناتُ وَالخَواطِرُ الَّتي عَبَّرَ عَنها بُكاؤُهُ؟

أوردَتْ "سِجِلاَّتُ المَمالِكِ الثَّلاثِ" وَما دَوَّنَهُ بِي سونغتشي (Pei Songzhi) مِن شُرُوحاتٍ أنَّ ليوبي لَم يَذرِفِ الدُّمُوعَ إلّا على سِتَّةِ أَحْدَاثٍ وَسِتَّةِ أَشْخَاصٍ، في حِينِ زَعَمَتْ "رِوايَةُ المَمالِكِ الثَّلاثِ" أَنَّهُ بَكَى ما يُناهِزُ المِئَةَ مَرَّةٍ على ثَلاثِينَ حَدَثاً، وَإنَّ التَّبايُنَ بَينَ المَصْدَرَينِ في وَصْفِ بُكاءِ ليوبي لَبَيِّنٌ وَجَلِيٌّ، وَيَرْمِي هَذا المَقالُ في المُقامِ الأَوَّلِ إلى تَبْيَانِ بَوَاعِثِ بُكاءِ ليوبي في المَدوَّناتِ التَّاريخيَّةِ، وَما انْطَوَى عَلَيهِ مِن دَلالاتٍ عَميقَةٍ، ثُمَّ يَعْمَدُ إلى تَحْليلٍ وَمُقارَنَةِ مَشَاهِدِ بُكائِهِ في الرِّوايَةِ مَعَ ما وَرَدَ في السِّجِلاَّتِ التَّاريخيَّةِ، بِغِيَةِ الوُقُوفِ على أَسْبَابِ مُبالَغَةِ "رِوايَةِ المَمالِكِ الثَّلاثِ" في تَصْويرِ بُكائِهِ، وَما تَرَتَّبَ على ذَلِكَ مِن آثَارٍ.

دموع ليوبي: قراءة في السجلات التاريخية وشروحات بي

وفقًا لـ "سجلات الممالك الثلاث" وشروحات بي سونغتشي، فإن ليوبي بكى على ستة أحداث، وهي:

1- ** البكاء عند الفراق مع تيان يو (Tian Yu) **

حِينَ لاذَ ليوبي بِغونغ سون زان (Gongsun Zan)، كانَ تيان يو فَتىً يافِعاً حِينَ وَهَبَ نَفسَهُ لِخِدمَةِ ليوبي، فَأُعجِبَ بِهِ إعجاباً شَديداً، وَلَمّا تَوَلَّى ليوبي مَنصِبَ المُفتِشِ في مَقطَعَةِ يو (Yu)، استَأذَنَ تيان يو في العَودَةِ إلى مَوطِنِهِ لِرِعايَةِ والِدَيهِ الطّاعِنَةِ في السِّنِّ، فَذَرَفَ ليوبي الدُّمُوعَ عِندَ الوِداعِ قائِلاً: "يُؤسِفُنِي أَلّا نَستَطيعَ تَحقيقَ المَآثِرِ العَظيمَةِ مَعاً،""[1](726)، وكان ليوبي آنذاك قد بلغ الرابعة والثلاثين من عمره، إنّ بكاء ليوبي في موقف الفراق مع تيان يو يُجلّي تقديره العميق لأهلِ الفِطنَةِ وأصحابِ البصيرةِ في فنونِ الحربِ والتدبيرِ.

جاء في كتاب "شروحات سجلات الممالك الثلاث" أنّ لي غوانغدي (Li Guangdi) قال: "إنّ سماح ليوبي لكلٍّ من شو شو (Xu Shu) وتيان يو (Tian Yu) بالرحيل لَيُعدّ برهاناً على سموّ أخلاقه وعدله"، فإنّ إجابته لطلبهما بالعودة إلى أهليهما لرعاية والدتيهما قد جلّى نبل خصاله وعدالته،[2](603)"، وَإنَّ قَرارَهُ بِعَدَمِ اسْتِبْقائِهِما لَيَعكِسُ إجلالَهُ العَظيمَ لِبِرِّ الوالِدَينِ وَتَمَسُّكَهُ بِالقِيَمِ النَّبيلَةِ، أمّا بُكاؤُهُ فَيَكشِفُ عَن تَقْديرِهِ العَميقِ لأَصحابِ المَواهِبِ وَحاجَتِهِ الماسَّةِ إلى ذَوِي الحِكمَةِ وَالبَصيرَةِ، إذ كانَ تيان يو يَتَمَتَّعُ بِالذَّكاءِ وَالمَهارَةِ.

أوردَتْ "سِجِلاَّتُ المَمالِكِ الثَّلاثِ" في "سيرَةِ تيان يو" أَنَّهُ كانَ مَوصوفاً بِالحِكمَةِ وَالبَراعَةِ في السِّياسَةِ، مَعَ نَزاهَةٍ وَتَقَشُّفٍ في العَيشِ، وَكانَ الفَقرُ رَفيقَهُ الدّائِمَ، وَقَد تَقَلَّدَ في عُهُودِ تساو تساو وَالإمْبراطورَينِ وَن وَمينغ مَناصِبَ جَليلَةً، فَتَدَرَّجَ مِن حاكِمِ مقاطعة إلى إقليم وَجِنرالٍ، حَتَّى بَلَغَ مَرتَبَةَ كِبارِ الوُزَراءِ، مُتَوَلِّياً تِسْعَةَ مَناصِبَ عُليا، وقد أبدى تشن شو (Chen Shou) رَأيُهُ في شَخصِيَّةِ تيان

يو قائِلاً: "إنَّهُ نَزيهٌ في مَسْلَكِهِ، ذَكِيٌّ في تَدبيرِهِ، دَقيقٌ في إدارَتِهِ"، فَكانَ بِذَلِكَ مِثالاً يُحتَذى لِلمَسؤولِ المُتَّسِمِ بِالنَّزاهَةِ وَالمُخَطِّطِ البارِعِ، الَّذي يُنجِزُ ما يُوكَلُ إلَيهِ مِن مَهامَّ بِحَذَقٍ وَاقتِدارٍ.

كانَ ليوبي في صِباهُ مِن عَامَّةِ الرَّعِيَّةِ، لا يَجِدُ في الكُتُبِ وَالعُلومِ مُتْعَةً، بَلْ يَميلُ إلى اللَّهوِ بِالخَيلِ وَالكِلابِ، وَالتَّزَيُّنِ بِالثِّيابِ الفاخِرَةِ، وَكانَ شُجاعًا فارِسًا، يَجذِبُ إلَيهِ الشَّبابَ بِحَماسَتِهِ، فَلَمّا اشتَعَلَت نارُ الفِتنَةِ في أَيّامِ الهانِ، استَعانَ بِالتُّجّارِ، فَجَمَعَ حَولَهُ جَمْعًا مِنَ الأَتْباعِ، وَلَمّا كانَ مِن أَصْلٍ وادِعٍ، فإنَّ أَصحابَهُ كانوا مِن أَمثالِهِ، يَفتَقِرونَ إلى الحِكمَةِ السّياسيَّةِ وَالفِراسَةِ العَسكَرِيَّةِ.

ومُنذُ أن تَقَلَّدَ السِّلاحَ في عامِ 184 حتى أصبح مفتشًا لمقاطعة يو (Yu) في شو (Xu) عام 194، خلال تلك السنوات العشر الأولى لم يَكُن في صُحبَتِهِ سِوى الثَّلاثة غوان يو (Guan Yu)، وجانغ في (Zhang Fei)، وجاو يون (Zhao Yun)، وقد عَلَّمَتهُ أمواجُ الصِّراعِ المُتَلاطِمَةُ في مَيادينِ السِّياسَةِ والحَربِ أنَّهُ لا سَبيلَ إلى المَجدِ العَظيمِ في خِضَمِّ صِراعاتِ أُمَراءِ الحَربِ دونَ حُكَماءَ يَرسُمونَ خُطَطَ النَّصرِ، وفي تِلكَ الآونَةِ، حينَ كانَ في كَنَفِ غونغ سون زان، قَصَدَهُ الفَتى تيان يو طائِعاً، وكانَ ذا مَوهِبَةٍ فَذَّةٍ في التَّدبيرِ والتَّخطيط، فَأَمضَوا سِنيناً طِوالاً مَعاً، وقد تَجَلَّت عَبقَريَّةُ تيان يو وبَراعَتُهُ في فُنونِ الحَربِ والتَّكتيكِ بَينَ حاشِيَةِ ليوبي، فَأُعجِبَ بِهِ أيَّما إعجاب، وقَدَّرَهُ حَقَّ قَدرِه، والآن، إذ عَزَمَ تيان يو على الرَّحيلِ فَجأةً، وحالَ القَدَرُ دونَ تَحقيقِ الأَمجادِ مَعاً، اعتَصَرَ الأَسَفُ قَلبَ ليوبي وأَثقَلَ فُؤادَه، فَلَم يَستَطِع كَبحَ جِماحِ حُزنِهِ، وفاضَت عَيناهُ بالدُّموعِ في مَشهَدِ الوَداعِ الأَليم.

**** 2. رؤية نمو اللحم على فخذيه أثارت فيه البكاء بمرارة ****

أقامَ ليوبي في جينغ لِعِدَّةِ سِنينَ، وَفي إحدَى المَرّاتِ، أَثناءَ جُلوسِهِ عِندَ ليو بياو (Liu Biao)، نَهَضَ إلى المَرْحاضِ، فَرَأى اللَّحمَ يَنمو على فَخِذَيهِ، فَشَعَرَ بِالأَسَى وَانْهَمَرَت دُموعُهُ، عادَ إلى مَكانِهِ، فَسَأَلَهُ ليو بياو باسْتِغرابٍ عَنِ السَّبَبِ، أَجابَ ليوبي:
"*كُنتُ دائِمًا لا أَتْرُكُ السَّرْجَ، وَكانَ اللَّحمُ على فَخِذَيَّ يَزولُ، أَمّا الآنَ، وَبَعدَ أن تَوَقَّفتُ عَنِ الرُّكوبِ، بَدَأَ اللَّحمُ يَنمو، الأَيّامُ وَالشُّهورُ تَمْضي بِسُرْعَةٍ، وَالشَّيخوخَةُ تَقْتَرِبُ، بَينَما لَم أُحَقِّقْ بَعدُ أيَّ إنجازاتٍ عَظيمَةٍ، وَلِهَذا أنا حَزينٌ،*".[(1)(876)] حِينَمَا بَلَغَ لِيُوبِي مَرْحَلَةَ الْأَرْبَعِينِيَّاتِ مِنْ عُمُرِهِ، كَانَ بُكَاؤُهُ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ اللَّحْمِ يَنْبُتُ مُجَدَّدًا عَلَى فَخِذَيْهِ تَعْبِيرًا دَاخِلِيًّا عَنْ قَلَقٍ عَمِيقٍ، فَتِلْكَ الدُّمُوعُ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ انْفِعَالٍ عَابِرٍ، بَلْ كَانَتْ انْعِكَاسًا لِصِرَاعٍ نَفْسِيٍّ وَجَدَانِيٍّ، إِذْ رَأَى فِي ذَلِكَ النُّمُوِّ الْجَسَدِيِّ عَلَامَةً جَدِيدَةً عَلَى مَرُورِ الزَّمَنِ وَتَضَاؤُلِ الْفُرَصِ لِتَحْقِيقِ طُمُوحَاتِهِ الَّتِي ظَلَّتْ حَبِيسَةَ الْأَحْلَامِ، فَالْبُكَاءُ هُنَا لَيْسَ مُجَرَّدَ شُعُورٍ بِالضَّعْفِ، بَلْ هُوَ صَرْخَةٌ صَامِتَةٌ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا خَوْفًا جُودِيًّا مِنْ ضَيَاعِ الْعُمُرِ دُونَ بُلُوغِ الْغَايَاتِ الْكُبْرَى.

علق هو سانشنغ (Hu Sanxing) في كتاب "المرآة الشاملة لمساعدة الحكومة" على هذا المشهد قائلاً: "إِنَّ هَذَا لَيْسَ إِلَّا دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّ إِرَادَةَ لِيُوبِي لَمْ تَلِنَّ وَلَمْ تَهِنْ، بَلْ كَانَتْ كَجَبَلٍ ثَابِتٍ لَا تُزَعْزِعُهُ الْعَوَاصِفُ، وَهَذَا مَا أَكْسَبَهُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَحْقِيقِ مَنْجَزَاتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي زَمَنِ الْمَمَالِكِ الثَّلَاثِ.."[(3)(2024)]

أما في "رومانسية الممالك الثلاث"، فقد علق الناقد والمؤلف من عصر تشينغ (Qing) ماو تسونغ قانغ (Mao Zonggang) قائلاً: *"دُموعُ ليو بياو كانت دُموعًا عاطِفِيَّةً، بَينَما دُموعُ ليوبي كانت دُموعًا بَطولِيَّةً، ليو بياو بَكى مِن أَجلِ عائِلَتِهِ، بَينَما ليو باي كانَ شَغوفًا بِمَصيرِ الإمبراطوريَّةِ.*

كما امتدح ليو يوي (Li Yu) كلماته قائلاً: "*هذه حقًا كلمات رجل عظيم*"[(4)(420)]

مُنْذُ صِغَرِهِ، حَلِمَ لِيُوبِي بِـ 'الرُّكُوبِ فِي عَرَبَةٍ إِمْبِرَاطُورِيَّةٍ مُزَيَّنَةٍ بِالرِّيشِ'، وَكَشَخْصٍ بَالِغٍ، سَعَى لِتَحْقِيقِ هَذَا الْحُلْمِ مِنْ خِلَالِ الانْغِمَاسِ فِي عَالَمِ أُمَرَاءِ الْحَرْبِ الْفَوْضَوِيِّ، قَاتِلًا بِلاَ هَوَادَةٍ، وَسَطَ الاضْطِرَابَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لِسَيْفِ الشِّنَاءِ وَرُمْحِ الصَّيْفِ، تَحَوَّلَ طُمُوحُهُ الْأَوَّلِيُّ 'الرُّكُوبَ فِي عَرَبَةٍ إِمْبِرَاطُورِيَّةٍ' تَدْرِيجِيًّا إِلَى 'الرَّغْبَةِ فِي إِعْلَاءِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبِلَادِ'."

حِينَمَا كَانَ لِيُوبِي فِي جِينْغَ، وَقَدْ تَجَاوَزَ عُمُرُهُ الأَرْبَعِينِيَّاتِ، شَعَرَ بِأَنَّ الزَّمَنَ قَدْ انْقَضَى دُونَ أَنْ يُحَقِّقَ أَيَّ إِنْجَازَاتٍ ذَاتِ شَأْنٍ فِي سَعْيِهِ لِتَحْقِيقِ السُّلْطَةِ، كَانَ هَذَا الشُّعُورُ بِمَثَابَةِ ثِقْلٍ عَلَى قَلْبِهِ، فَامْتَلَأَ بِالْحُزْنِ الْعَمِيقِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى الْبُكَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْحُزْنِ أَنْ يُضْعِفَ عَزِيمَتَهُ أَوْ يُوهِنَ مِنْ عَزْمِهِ؛ بَلْ إِنَّ الدُّمُوعَ الَّتِي انْهَمَرَتْ حِينَمَا رَأَى اللَّحْمَ يَنْبُتُ مُجَدَّدًا عَلَى فَخِذَيْهِ - وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى تَدَهْوُرِ حَالَتِهِ الْبَدَنِيَّةِ وَتَقَدُّمِ الْعُمُرِ - كَانَتْ بِمَثَابَةِ شَعْلَةٍ أَشْعَلَتْ رُوحَهُ الْقِتَالِيَّةَ وَحَسَّ الْإِلْحَاحِ لَدَيْهِ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ هَذِهِ اللَّحْظَةُ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ فِي حَيَاتِهِ، حَيْثُ زَادَتْ إِصْرَارَهُ عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الْمَوَاهِبِ وَالْمُسْتَشَارِينَ الأَكْفَاءِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتِ القِصَّةُ الشَّهِيرَةُ لِزِيَارَاتِهِ الثَّلَاثِ الْمُتَوَاضِعَةِ إِلَى كُوخِ الْقَشِ، وَالَّتِي تُعَدُّ رَمْزًا لِحَرَصِهِ عَلَى اسْتِقْطَابِ الْعُقُولِ النِّيرَةِ لِتَحْقِيقِ طُمُوحَاتِهِ الْكُبْرَى.

خلال زيارته الثالثة، قال لـ تشوغي ليانغ (Zhuge Liang): *" إِنَّ أُسْرَةَ الْهَانِ قَدْ أَصَابَهَا الْوَهْنُ وَالتَّدَاعِي، وَقَدْ اسْتَوْلَى الْخَوَنَةُ مِنَ الْمَسْؤُولِينَ عَلَى مَقَالِيدِ السُّلْطَةِ، وَأَصْبَحَ الإِمْبِرَاطُورُ فِي مِحْنَةٍ عَظِيمَةٍ، وَإِنَّنِي - رَغْمَ مَا أَعْلَمُهُ مِنْ مَحْدُودِيَّةِ فَضِيلَتِي وَقُوَّتِي - أَرْغَبُ فِي إِقَامَةِ الْعَدْلِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ فِي أَرْجَاءِ الْبِلَادِ، وَإِنْ كَانَتْ حِكْمَتِي وَبَرَاعَتِي قَدْ أَدَّتْ إِلَى انْتِكَاسَاتٍ مُتَكَرِّرَةٍ، إِلَّا أَنَّ عَزِيمَتِي لَمْ تَنْكَسِرْ، وَلَمْ يَضْعُفْ عُودِي..."*[5] حتى أثناء اعتماده على الآخرين، أظهر تصميمًا راسخًا على عكس مسار التدهور.

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْمُعَاكِسَةِ، لَمْ يَنْسَ لِيُوبِي حُلْمَهُ أَبَدًا وَلَمْ يَتَخَلَّ عَنْ سَعْيِهِ لِاسْتِرْجَاعِ أُسْرَةِ الْهَانِ، لِهَذَا السَّبَبِ أَشَادَ بِهِ تْشِينْ شُو (Chen Shou) بِأَنَّهُ 'مُرِنٌّ لَكِنَّهُ لَا يَنْكَسِرُ'، مُعْجَبًا جِدًّا بِرُوحِ الْمُثَابَرَةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا فِي مُوَاجَهَةِ الانْتِكَاسَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ، يَعْتَقِدُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْجَوْدَةَ الاسْتِثْنَائِيَّةَ لِيُوبِي كَانَتْ، أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، رُوحَهُ الَّتِي لَا تُقْهَرُ، كَانَتِ الصِّفَةُ الْمَذْكُورَةُ أَعْلَاهُ 'الْمُرُونَةُ دُونَ الانْكِسَارِ' عَامِلًا حَاسِمًا فِي تَحْقِيقِ حُكْمِهِ عَلَى ثُلُثِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ.

** 3. البكاء عند مرقد ليو بياو** (Liu Biao)

" حِينَمَا مَرَّ لِيُوبِي عَلَى مَرْقَدِ لِيُو بِيَاوُ، وَقَدَّمَ احْتِرَامَاتِهِ، ثُمَّ غَادَرَ ذَلِكَ الْمَكَانَ وَهُوَ يَبْكِي،"[(879)(1)] [حدث ذلك عندما كان ليوبي يبلغ من العمر 47 عامًا] كَانَ هَذَا دَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى طَبِيعَتِهِ الْفَاضِلَةِ وَالْحَسَنَةِ، فَتِلْكَ الدُّمُوعُ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ انْفِعَالٍ عَاطِفِيٍّ عَابِرٍ، بَلْ كَانَتْ تَعْبِيرًا صَادِقًا عَنِ الْوَفَاءِ وَالإِخْلَاصِ الَّذِي يَكُنُّهُ لِيُوبِي لِذِكْرَى لِيُو بِيَاوُ.

كَانَ سَبَبُ دُمُوعِهِ عِنْدَ مَرْقَدِ لِيُو بِيَاوُ هُوَ سِنَوَاتُ الرِّعَايَةِ وَالضِّيَافَةِ خِلَالَ السَّبْعِ سِنِينَ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَثْنَاءَ إِقَامَتِهِ فِي جِينْغَ تَحْتَ رِعَايَةِ لِيُو بِيَاوُ، الَّذِي أَوْكَلَ ابْنَهُ الصَّغِيرَ أَيْضًا إِلَى لِيُوبِي وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، لِذَلِكَ، عِنْدَمَا عَلِمَ لِيُوبِي بِتَقَدُّمِ جَيْشِ تْسَاوُ تْسَاوُ وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَرَاجَعَ عَلَى عَجَلٍ، نَصَحَهُ بَعْضُهُمْ بِاسْتِغْلَالِ الْفُرْصَةِ لِمُهَاجَمَةِ لِيُو كُونْغَ (Liu Cong) (ابْنُ لِيُو بِيَاوُ)، لَكِنَّهُ قَالَ: 'لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ'، وَعِنْدَمَا اقْتَرَحَ آخَرُونَ أَخْذَ لِيُو كُونْغَ رَهِينَةً، رَدَّ قَائِلًا: 'أَوْكَلَ لِي لِيُو جِينْغُ (يَقْصِدُ لِيُو بِيَاوُ) ابْنَهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، إِنَّ خِيَانَةَ هَذِهِ الثِّقَةِ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَتِي الْخَاصَّةِ هُوَ شَيْءٌ لَنْ أَفْعَلَهُ، فَلَوْ مُتُّ، كَيْفَ يُمْكِنُنِي مُوَاجَهَةُ لِيُو جِينْغَ؟

إِنَّ 'الْعُبُورَ لِتَقْدِيمِ الاحْتِرَامِ عِنْدَ مَرْقَدِ لِيُو بِيَاوُ وَالمَغَادَرَةَ وَهُوَ يَبْكِي' يُعَدُّ تَجَلِّيًا طَبِيعِيًّا وَمَنْطِقِيًّا لِأَخْلَاقِ لِيُوبِي وَإِنْسَانِيَّتِهِ العَمِيقَةِ، فَهَذَا الفِعْلُ، الذِي أَظْهَرَ وَفَاءَهُ وَإِخْلَاصَهُ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا انْعِكَاسًا لِشَخْصِيَّتِهِ السَّامِيَةِ التِي كَانَتْ دَائِمًا تَضَعُ المَبَادِئَ وَالقِيَمَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي 'الشُّرُوحَاتِ المُخْتَارَةِ لِسِجِلَّاتِ المَمَالِكِ الثَّلَاثِ': 'حَتَّى فِي خِضَمِّ الأُمُورِ العَسْكَرِيَّةِ العَاجِلَةِ، لَمْ يَنْسَ الحَاكِمُ الأَوَّلُ صَدِيقَهُ القَدِيمَ - فَلَا عَجَبَ أَنَّهُ فَازَ بِقُلُوبِ النَّاسِ.'[(727)]".

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَفْضِ لِيُوبِي نِسْيَانَ لُطْفِ لِيُو بِيَاوُو ، وَتَجَلِّي وَلَائِهِ العَمِيقِ تِجَاهَ شَعْبِ جِينْغ الَّذِينَ التَفُّوا حَوْلَهُ وَاتَّبَعُوهُ، عَلَّقَ المُؤَرِّخُ **شي زووتشي** (Xi Zuochi) بِقَوْلِهِ: "حَتَّى فِي أَحْلَكِ لَحَظَاتِ المِحْنَةِ وَأَشَدِّ مَرَاحِلِ الخَطَرِ، أَظْهَرَ الحَاكِمُ الأَوَّلُ أَمَانَتَهُ العَالِيَةَ وَبِرَّهُ الرَّاسِخَ، فَبَرَزَتْ تِلْكَ الصِّفَاتُ كَشَمْسٍ لَا تَغِيبُ عَنِ الأَنْظَارِ، حِينَمَا ضَيَّقَتِ الظُّرُوفُ عَلَيْهِ الخِنَاقَ وَوَاجَهَ أَزَمَاتٍ مَصِيرِيَّةً، لَمْ تَنْحَرِفْ كَلِمَاتُهُ قَيْدَ أَنْمُلَةٍ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَالاسْتِقَامَةِ، لَقَدْ كَانَ امْتِنَانُهُ العَمِيقُ لِرِعَايَةِ لِيُو بِيَاوُو لَهُ بِمَثَابَةِ القُوَّةِ المُحَرِّكَةِ الَّتِي أَلْهَمَتِ الجَيْشَ بِأَسْرِهِ؛ وَدَفَعَهُ وَفَاؤُهُ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا نَهْجَ الحَقِّ إِلَى تَقَاسُمِ مَصِيرِ الهَزِيمَةِ مَعَهُمْ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَإِبَاءٍ،إِنَّ النَّظَرَ إِلَى كَيْفِيَّةِ رَبْطِهِ قَلْبَهُ بِقُلُوبِ النَّاسِ يُكْشِفُ لَنَا عَنْ سِرِّ عَظَمَتِهِ؛ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُجَرَّدَ تَقْدِيمِ النَّبِيذِ الدَّافِئِ لِتَرْطِيبِ حَنَاجِرِهِمْ أَوِ السُّؤَالِ عَنْ

أَمْرَاضِهِمْ بِمَشَاعِرَ التَّعَاطُفِ السَّطْحِيَّةِ! (1) (878) *وَلِأَنَّهُ سَارَ عَلَى هَذَا النَّهْجِ الحَكِيمِ، فَقَدْ أَحَقَّ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ إِنْجَازَاتٍ عَظِيمَةً خُلِّدَتْ فِي صَفَحَاتِ التَّارِيخِ— أَلَيْسَ هَذَا الأَمْرَ مُنَاسِبًا وَمُسْتَحِقًّا!"*

لِهَذَا السَّبَبِ، أَعْطَاهُ تْشِين شُو تَقْيِيمًا بِأَنَّهُ "سَامِيُ النَّفْسِ، حَازِمٌ، وَكَرِيمٌ"، مُؤَكِّدًا تَمَامًا عَلَى كَرَمِ لِيُوبِي وَبِرِّهِ. لَقَدْ فَازَتْ شَخْصِيَّةُ لِيُوبِي الفَاضِلَةُ بِقُلُوبِ النَّاسِ، وَكَانَ هَذَا أَحَدَ الأَسْبَابِ المُهِمَّةِ لِنَجَاحِهِ فِي إِقَامَةِ حُكْمِهِ.

"4. **الحزن لوفاة بانغ تونغ (Pang Tong)، والبكاء عند التحدث عنه**

عندما قاد ليوبي جيشه لمحاصرة مدينة لوتشينغ (Luocheng)، كان بانغ تونغ يقود القوات في الهجوم لكنه أصيب بسهم طائش وتوفي عن عمر يناهز السادسة والثلاثين. ليوبي حزن بشدة على فقده وكان يبكي كلما تحدث عنه." [1]956(كان ليو بي يبلغ من العمر 52 عامًا في ذلك الوقت.)

"5. **وفاة فا تشنغ (Fa Zheng) في ريعان شبابه، وبكاء ليوبي لأيام**

'عندما تم تنصيب ليوبي كملك هانزونغ (Hanzhong)، عين فا تشنغ كوزير عام وقائد جيش الحماية. في العام التالي، توفي فا تشنغ عن عمر يناهز الخامسة والأربعين. بكى ليوبي عليه لأيام متتالية.' [1]961(كان ليوبي يبلغ من العمر 60 عامًا في ذلك الوقت.)

يعكس حزن ليوبي العميق على وفاة بانغ تونغ وفا تشنغ مدى حبه وألمه تجاه المستشارين الذين قدموا مساهمات استثنائية في مساعيه لبناء إرثه.

كان بانغ تونغ وفا تشنغ، على التوالي، مستشارين موثوقين لليوبي، حيث قدموا استراتيجيات حاسمة في غزو يي (Yi) والاستيلاء على هانزونغ، وحققوا إنجازات بارزة.

كَانَ بَانْغ تُونْغ يُعْرَفُ بِلَقَبِ 'الْعَنَاقَةِ الصَّغِيرَةِ'، ذَلِكَ اللَّقَبِ الَّذِي يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ رَمْزًا لِلْعَبْقَرِيَّةِ وَالفِطْنَةِ الَّتِي لَا تُبَارَى. فَحِينَمَا التَقَى بِهِ لِيُوبِي وَدَارَ بَيْنَهُمَا حَدِيثٌ مُعَمَّقٌ، أَدْرَكَ لِيوبي عَظَمَةَ هَذَا الرَّجُلِ فَوْرًا، فَأَبْدَى لَهُ تَقْدِيرًا كَبِيرًا، حَتَّى إِنَّهُ عَامَلَهُ تَقْرِيبًا بِنَفْسِ المَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي كَانَ يُخَصُّ بِهَا تْشُو غيه لِيَانْغ ، وَلَمْ يَكْتَفِ لِيُوبِي بِالإِشَادَةِ بِعَبْقَرِيَّةِ بَانْغ تُونْغ فَحَسْبُ، بَلْ قَامَ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ بِتَعْيِينِهِ كَجَنْرَالٍ و مُسْتَشَارٍ عَسْكَرِيٍّ إِلَى جَانِبِ تْشُو غِيه لِيَانْغ ، لِيَكُونَ بِذَلِكَ أَحَدَ الدَّعَائِمِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي اسْتَنَدَتْ إِلَيْهَا خُطَطُهُ العَسْكَرِيَّةُ.وَلَمْ يَكُنْ دَوْرُ بَانْغ تُونْغ مُجَرَّدَ زِينَةٍ فِي بَلَاطِ القِيَادَةِ، بَلْ كَانَ مَحْوَرِيًّا وَمَفْصَلِيًّا، إِذْ لَعِبَ دَوْرَ المُسْتَشَارِ العَبْقَرِيِّ فِي حَمْلَةِ لِيُوبِي الطَّمُوحَةِ لِلاسْتِيلَاءِ عَلَى إِقْلِيمِ يِي . فَقَدْ كَانَتْ حِكْمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ عَلَى التَّخْطِيطِ الاسْتِرَاتِيجِيِّ بِمَثَابَةِ بوصلة تَرْشُدُ الجُيُوشَ نَحْوَ تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ الكُبْرَى.

سابقا وبعد مَعْرَكَةِ المُنْحَدَرَاتِ الحَمْرَاءِ الشَّهِيرَةِ، حِينَمَا كَانَ لِيُوبِي مُتَمَرْكِزًا فِي جِينْغ ، بَدَا مُتَرَدِّدًا فِي غَزْوِ إِقْلِيمِ يِي ، مُعَلِّلًا ذَلِكَ بِمَبَادِئِهِ الأَخْلَاقِيَّةِ الرَّاسِخَةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الرَّحْمَةِ وَاللُّطْفِ وَالوَفَاءِ، تِلْكَ القِيَمِ الَّتِي كَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا الأَسَاسُ لِتَحْقِيقِ الهَيْمَنَةِ الحَقِيقِيَّةِ، لَا القُوَّةَ الغَاشِمَةَ أَوِ الطَّمُوحَ المَجْرَدَ مِنَ الإِنْسَانِيَّةِ.وَقَالَ **لِيُوبِي** فِي هَذَا السِّيَاقِ كَلِمَاتٍ تُعَكِّسُ عُمْقَ شَخْصِيَّتِهِ وَنُبْلَ مَقَاصِدِهِ:

"أن أضحي بالثقة والعدالة لأجل قضية صغيرة هو أمر لا أقبله."

لكن بأنغ تونغ رد قائلاً:

إِنَّ الحِكْمَةَ فِي تَدْبِيرِ الأُمُورِ تَقْتَضِي المُرُونَةَ فِي التَّصَرُّفِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ نَتَقَيَّدَ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ كَالْحَجَرِ الرَّاسِخِ لَا يَبْرَحُ مَكَانَهُ. وَقَدْ كَانَ هَذَا نَهْجَ العُظَمَاءِ الخَمْسَةِ مِنْ قَبْلُ، إِذْ أَخْضَعُوا أَهْلَ الضَّعْفِ، وَوَاجَهُوا ذَوِي الجَهَالَةِ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، فَإِذَا اسْتُخْدِمَتِ القُوَّةُ لِرَدِّ النِّظَامِ إِلَى مَوْضِعِهِ، وَإِخْمَادِ نَارِ الفِتْنَةِ، وَكَانَ القَصْدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِقَامَةَ العَدْلِ، فَذَلِكَ أَمْرٌ مَمْدُوحٌ، فَإِذَا اسْتَتَبَّ الأَمْرُ، وَاسْتَقَرَّ النِّظَامُ، فَمَا المَانِعُ مِنْ أَنْ نُكَافِئَهُمْ بِإِقْطَاعِهِمْ إِقْلِيمًا فَسِيحًا؟ فَإِنْ تَقَاعَسْنَا اليَوْمَ عَنِ الفِعْلِ، وَتَوَانَيْنَا فِي اغْتِنَامِ هَذِهِ الفُرْصَةِ السَّانِحَةِ، فَلَا شَكَّ أَنَّهَا سَتَأْوِي إِلَى غَيْرِنَا، وَيَظْفَرُ بِهَا سِوَانَا. (1) (955)

مُقْتَنِعًا بِمَشُورَةِ بَانْغ تُونْغ، قَادَ لِيُوبِي قُوَّاتِهِ إِلَى شُو (Shu) ، بَيْدَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهَا، تَرَيَّثَ فِي أَمْرِهِ، إِذْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يُتَّهَمَ بِنَقْضِ العُهُودِ وَخِيَانَةِ الأَمَانَةِ، فَانْبَرَى لَهُ بَانْغ تُونْغ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خُطَطٍ — عُلْيَا، وَسُطَى، وَدُنْيَا — لِلاسْتِيلَاءِ عَلَى تْشِينْغ دُو (Chengdu) ، وَمَا زَالَ يَحُثُّهُ عَلَى المَضِيِّ قُدُمًا حَتَّى اخْتَارَ لِيُوبِي الخِطَّةَ الوُسْطَى وَشَرَعَ فِي تَنْفِيذِهَا، بَعْدَ الاسْتِيلَاءِ بِنَجَاحٍ عَلَى فُو تْشِينْغ (Fucheng) ، أَقَامَ لِيُوبِي وَلِيمَةً عَظِيمَةً، دَعَا إِلَيْهَا بَانْغ تُونْغ وَسَائِرَ قُوَّادِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ، أَثْنَاءَ حِصَارِ لُو تْشِينْغ (Luocheng) ، تُوُفِّيَ بَانْغ تُونْغ بِشَكْلٍ مَأسَاوِيٍّ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُ سَهْمٌ، وَمَعَ أَنَّ تْشِينْغ دُو كَانَتْ عَلَى وَشْكِ السُّقُوطِ، تُوُفِّيَ المُسْتَشَارُ الَّذِي وَضَعَ الاسْتِرَاتِيجِيَّةَ فِي رِيعَانِ شَبَابِهِ، وَلِهَذَا كَانَ لِيُوبِي 'حَزِينًا جِدًّا وَبَكَى كُلَّمَا تَكَلَّمَ عَنْهُ.

كَانَ فَا تْشِينْغ (Fa Zheng) مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ الثَّاقِبِ وَالحِسَابِ الدَّقِيقِ، وَكَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ مِنْ خِدَمِ لِيُو تْشَانْغ (Liu Zhang) ، فَلَمَّا أَوْفَدَهُ سَيِّدُهُ إِلَى جِينْغ لِلِقَاءِ لِيُوبِي ، أَسَرَّ إِلَيْهِ نَصَائِحَهُ، وَعَاهَدَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ عَيْنًا فِي البِلَادِ، يُمَهِّدُ لَهُ السَّبِيلَ لِلاسْتِيلَاءِ عَلَى شُو الغَرْبِيَّةِ ، وَبِفَضْلِ تَدْبِيرِهِ وَحِنْكَتِهِ، كَانَ مِنْ أَبْرَزِ مَنْ سَاهَمَ فِي غَزْوِ يِي ، وَلَمَّا اسْتَتَبَّ الأَمْرُ لِـ لِيُوبِي فِي تْشِينْغ دُو ، نَالَ فَا تْشِينْغ مَنْزِلَةً رَفِيعَةً فِي قَلْبِهِ، فَأَوْكَلَ إِلَيْهِ تَدْبِيرَ شُؤُونِ العَاصِمَةِ مِنَ الخَارِجِ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى وَضْعِ الخُطَطِ مِنَ الدَّاخِلِ، ثُمَّ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالاسْتِيلَاءِ عَلَى هَانْ زُونْغ ، وَخَرَجَ مَعَهُ فِي تِلْكَ الحَمْلَةِ، فَأَسْفَرَتْ عَنْ دَحْرِ تْسَاوُو تْسَاوُو وَتَأْمِينِ المِنْطَقَةِ، سَمَحَ هَذَا الانتِصَارُ لِـ لِيُوبِي بِالصُّعُودِ إِلَى العَرْشِ كَمَلِكِ هَانْ زُونْغ ، مِمَّا مَنَحَهُ مَكَانَةً مُسَاوِيَةً لِـ تْسَاوُو تْسَاوُو ، مَلِكِ وِي ، تَمَّتْ مُكَافَأَةُ فَا تْشِينْغ عَلَى إِنْجَازَاتِهِ، حَيْثُ تَمَّ تَعْيِينُهُ كَوَزِيرٍ عَامٍّ وَقَائِدٍ لِجَيْشِ الحِمَايَةِ، فِي حِينِ ظَلَّ تْشُو كِيه لِيَانْغ فِي مَنْصِبِهِ كَجَنْرَالٍ مُسْتَشَارٍ عَسْكَرِيٍّ وَلَمْ يُتَرَقَّ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ.

كَانَ لِـ بَانْغ تُونْغ وَفَا تْشِينْغ مِنْ سَدِيدِ الرَّأْيِ فِي الحَرْبِ، وَحَصِيفِ المَشُورَةِ فِي السِّيَاسَةِ، مَا لَا يُقَدَّرُ بِنَفِيسٍ وَلَا يُوزَنُ بِثَمِينٍ، فَبِفَضْلِ تَدْبِيرِهِمَا المُحْكَمِ وَحِنْكَتِهِمَا البَالِغَةِ، ظَفِرَ لِيُوبِي بِالنَّصْرِ فِي حَمَلَاتِهِ، وَبَسَطَ سُلْطَانَهُ عَلَى المُقَاطَعَاتِ تَتْرَى، فَلَمَّا فَقَدَهُمَا، كَانَ كَمَنْ فُصِلَتْ يُمْنَاهُ مِنْ يُسْرَاهُ، وَكَأَنَّمَا فُقِئَتْ عَيْنَاهُ، إِذْ كَانَا لَهُ بِمَنْزِلَةِ العَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَاليَدَيْنِ يَبْطِشُ بِهِمَا، وَظَلَّ قَلْبُهُ يَعْتَصِرُ أَلَمًا عَلَى فِرَاقِ مُسْتَشَارَيْهِ الأَمِينَيْنِ حُقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ، حَتَّى بَعْدَمَا اعْتَلَى عَرْشَ الإِمْبَرَاطُورِيَّةِ، وَإِضَافَةً إِلَى مَنْحِ تْشَانْغ فِي (Zhang Fei) وَمَا تْشَاو (Ma Chao) أَلْقَابَ المَرْكِيزِ، مُنِحَ بِشَكْلٍ خَاصٍّ أَلْقَابًا لأَبْنَاءِ بَانْغ تُونْغ وَفَا تْشِينْغ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ تْشُو كِيه لِيَانْغ، وَتْشَاو يُون (Zhao Yun) ، وَهُوَانْغ تْشُونْغ (Huang Zhong) ، أَوْ أَيَّ مِنَ المَسْؤُولِينَ المَدَنِيِّينَ أَوِ العَسْكَرِيِّينَ الآخَرِينَ، لَمْ يَتَلَقَّوْا مِثْلَ هَذِهِ الأَلْقَابِ.

كَانَ بَانْغ تُونْغ وَفَا تْشِينْغ مُسْتَشَارَيْنِ فَذَّيْنِ، جَلَّتْ مَآثِرُهُمَا فِي مَسِيرَةِ لِيُوبِي نَحْوَ عَرْشِ المُلْكِ وَالإِمْبَرَاطُورِيَّةِ، وَمَا كَانَ حُزْنُهُ العَمِيقُ عَلَى فَقْدِهِمَا إِلَّا دَلِيلًا عَلَى تَقْدِيرِهِ لِعَظِيمِ مَوَاهِبِهِمَا، وَشَاهِدًا عَلَى بَرَاعَتِهِ فِي اكْتِشَافِ أَصْحَابِ المَوَاهِبِ وَاسْتِثْمَارِ قُدْرَاتِهِمْ فِي تَحْقِيقِ المَآرِبِ العِظَامِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ تْشِين شُو (Chen Shou): 'لَقَدْ حَذَا لِيُوبِي حَذْوَ الإِمْبَرَاطُورِ غَاو زُو (Gaozu) مِنْ أُسْرَةِ هَان فِي فَهْمِ أَقْدَارِ الرِّجَالِ وَمُعَامَلَتِهِمْ، فَتَجَلَّتْ فِيهِ خِصَالُ الأَبْطَالِ وَشَمَائِلُ العُظَمَاءِ،' هَذَا الثَّنَاءُ يَعْتَرِفُ بِقُدْرَةِ لِيُوبِي عَلَى التَّعَرُّفِ عَلَى المَوَاهِبِ وَتَقْدِيرِهَا، عَلَى غِرَارِ أُسْلُوبِ لِيُو بَانْغ (Liu Bang) ، الإِمْبَرَاطُورِ المُؤَسِّسِ لِسُلَالَةِ هَان ، وَيَعْكِسُ شَخْصِيَّتَهُ البَطُولِيَّةَ، كَانَ هَذَا الفَهْمُ وَالاسْتِغْلَالُ لِلمَوَاهِبِ أَحَدَ الأَسْبَابِ الرَّئِيسِيَّةِ لِنَجَاحِ لِيُوبِي فِي بِنَاءِ إِرْثِهِ.

"6. **إصدار أمر بإعدام ليو فنغ (**Liu Feng**)، وبكاء ليوبي عليه**

أَلْقَى لِيُوبِي بِاللَّوْمِ عَلَى لِيُو فِنْغ بِسَبَبِ خِلَافَاتِهِ ضِدَّ مِنْغ دَا (Meng Da) وَفَشَلِهِ فِي إِنْقَاذِ غُوَان يُو (Guan Yu)، كَانَ تْشُو غيه لِيَانْغ قَلِقًا مِنْ أَنَّ طَبِيعَةَ لِيُو فِنْغ الشَّرِسَةَ وَالعَنِيدَةَ سَتَجْعَلُهُ صَعْبَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاةِ لِيُوبِي، فَنَصَحَ لِيُوبِي بِالتَّخَلُّصِ مِنْهُ، نَتِيجَةً لِذَلِكَ، أَمَرَ لِيُوبِي لِيُو فِنْغ بِالانْتِحَارِ، تَنَهَّدَ لِيُو فِنْغ وَقَالَ: 'أَنَا نَادِمٌ عَلَى عَدَمِ اتِّبَاعِ نَصِيحَةِ مِنْغ زِي دُو !' بَكَى لِيُوبِي عَلَيْهِ،' [994][1] (كان ليوبي يبلغ من العمر 60 عامًا في ذلك الوقت.)

وَفَاةُ **لِيُو فِنْغ** وَدُمُوعُ **لِيُوبِي** تَكْشِفَانِ عَنِ المَشَاعِرِ المُعَقَّدَةِ لِرَجُلِ دَوْلَةٍ تَمَزَّقَهُ العَاطِفَةُ الأَسَرِيَّةُ وَالضَّرُورَةُ السِّيَاسِيَّةُ، عِنْدَمَا كَانَ **لِيُوبِي** فِي **جِينْغ** ، 'لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ، فَتَبَنَّى **لِيُو فِنْغ** كَابْنٍ لَهُ.' أَمَّا بِشَأْنِ قَتْلِ الابْنِ المُتَبَنَّى **لِيُو فِنْغ** ، فَيُقَدِّمُ كِتَابُ 'مَجْمُوعَةِ تَفْسِيرَاتِ سِجِلَّاتِ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ' تَعْلِيقَاتٍ مُتَنَوِّعَةً مِنَ العُلَمَاءِ حَوْلَ صِحَّةِ هَذِهِ الوَاقِعَةِ:

هي تشاو (He Zhuo) قال:
"لم يكن للحاكمِ السَّابقِ (ليوبي) من عَقِبٍ يَخلُفُهُ، وكانَ الوريثُ المُحتمَلُ واهنَ العزيمةِ، أمَّا (ليو) فنغ، فقد كانَ في موقعٍ دقيقٍ مثيرٍ للريبةِ، وقد سبقَ له قيادةُ الجنودِ، ولو جنحَ يومًا إلى التمردِ، لشكَّلَ تهديدًا مباشرًا وخطيرًا يُزعزعُ أركانَ الدَّولةِ، ويضعُ استمرارَ السُّلالةِ الملكيَّةِ في محكِّ الخطرِ، ومن ثمَّ، كانَ لا مناصَ من انتهازِ ذريعةِ إثمهِ للتخلُّصِ منهُ سريعًا."

رأي آخر:
"على الرغم من أن فنغ قد أخطأَ، فإنَّهُ كانَ في الحقيقةِ ضحيَّةَ مكرِ مينغ دا، ولم تكن له نيَّةٌ في الخيانةِ، ولو عادَ إلى شو، لظلَّ وفيًا مُخلِصًا، وإنَّ نصيحةَ تشوغيهِ ليانغَ للحاكمِ بالتخلُّصِ منه كانت خاطئة."

تشيان تشنغوانغ (Qian Zhenhuang) قال:
إِنْ كَانَ سَبَبُ إِعْدَامِ فِنْغَ هُوَ التَّقْصِيرُ فِي إِنْقَاذِ غُوَان يُو ، فَلَنْ يَجِدَ فِنْغٌ مَنْدُوحَةً لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ، أَمَّا إِنْ كَانَ المَقْصُودُ هُوَ الخَوْفُ مِنْ صُعُوبَةِ كَبْحِهِ مُسْتَقْبَلًا، فَذَلِكَ يَعْنِي قَتْلَ نَفْسٍ بَرِيئَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ كُونْغ مِينْغ (تشوغيه ليانغ) كَانَ مِمَّا يُتَوَقَّعُ مِنْ مِينْغ دَا ، كَمْ هُوَ شَدِيدُ الضَّرَرِ الَّذِي تُسَبِّبُهُ فِلَسَفَاتُ شِين بُوهَان (Shen Buhai) وَهَان فِي (Han Fei)! أَمَّا دُمُوعُ لِيُوبِي عَلَى فِنْغ ، فَقَدْ أَظْهَرَتْ أَنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى القِيَامِ بِشَيْءٍ لَا يَرْغَبُ فِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ قَاسِيًا جِدًّا. [2]813

كَانَ لِيُو فِنْغ بَارِعًا فِي فُنُونِ القِتَالِ، يَمْتَلِكُ قُدْرَةً فَائِقَةً، وَقَدْ قَادَ الجُيُوشَ فِي المَعَارِكِ حَتَّى ارْتَقَى إِلَى مَرْتَبَةِ نَائِبِ القَائِدِ، وَفِي المُقَابِلِ، كَانَ وَلِيُّ العَهْدِ لِيُو شَانُ ضَعِيفَ العَزِيمَةِ، مُتَوَسِّطَ الهِمَّةِ عَلَى نَحْوٍ مُفْرِطٍ، وَلِضَمَانِ اسْتِقْرَارِ دَوْلَةِ شُو هَان بَعْدَ وَفَاةِ لِيُوبِي ، وَلِدَرْءِ الفَوْضَى المُحْتَمَلَةِ الَّتِي قَدْ تَنْشَأُ مِنْ تَنَافُسِ لِيُو فِنْغَ عَلَى العَرْشِ، وَقَعَ القَضَاءُ عَلَى لِيُو فِنْغَ ، رَغْمَ أَنَّ جِنَايَتَهُ لَمْ تَكُنْ تُوجِبُ القَتْلَ، وَاسْتَمَعَ لِيُوبِي لِنَصِيحَةِ تْشُو كِيه لِيَانْغ ، فَأَمَرَ بِإِعْدَامِ لِيُو فِنْغَ دَفْعًا لِلضَّرُورَةِ، وَبَعْدَ كُلِّ مَا جَرَى، كَانَ الرَّجُلَانِ يَجْمَعُهُمَا رَابِطُ الأُبُوَّةِ وَالبُنُوَّةِ لِسِنِينَ عَدِيدَةٍ، وَفِي لَحْظَةِ عَجْزِهِ، اضْطَرَمَتْ مَشَاعِرُ الرَّحْمَةِ فِي نَفْسِ لِيُوبِي ، فَكَانَتْ دُمُوعُهُ شَاهِدَ عَدْلٍ عَلَى عَجْزِ رَجُلِ الدَّوْلَةِ، وَشَاهِدَ صِدْقٍ عَلَى عَاطِفَةِ الأَبِ الرَّؤُوفِ، مُظْهِرَةً رَحْمَتَهُ وَتَعَاطُفَهُ.

بَكَى لِيُوبِي لِسِتَّةِ أَحْدَاثٍ وَسِتَّةِ رِجَالٍ، مِنْهَا ثَلَاثُ حَالَاتٍ كَانَتْ وَجَدًا عَلَى فَقْدِ الرِّجَالِ ذَوِي المَوَاهِبِ، وَوَاحِدَةٌ تُظْهِرُ رَحْمَتَهُ وَامْتِنَانَهُ، وَأُخْرَى كَانَتْ تَنْهِيدَةَ حَسْرَةٍ عَلَى تَأَخُّرِ إِدْرَاكِ طُمُوحَاتِهِ، وَوَاحِدَةٌ أَخِيرَةٌ مَثَّلَتْ حُزْنَهُ عَلَى التَّضْحِيَةِ بِابْنِهِ بِالتَّبَنِّي لِتَثْبِيتِ دَعَائِمِ مُلْكِهِ، وَعِنْدَ تَفْسِيرِ دُمُوعِ لِيُوبِي ، يُمْكِنُنَا تَلْخِيصُهَا فِي أَرْبَعَةِ دَلَالَاتٍ جَوْهَرِيَّةٍ: أَوَّلًا: أَنَّهَا مَرْآةٌ صَادِقَةٌ لِفَضِيلَةِ الرَّحْمَةِ الَّتِي تَسْكُنُ قَلْبَهُ، ثَانِيًا: أَنَّهَا شَاهِدَةٌ عَلَى عَزْمِهِ الرَّاسِخِ فِي تَأْسِيسِ إِرْثٍ خَالِدٍ، ثَالِثًا: أَنَّهَا كَاشِفَةٌ عَنْ حُبِّهِ العَمِيقِ لِلمَوَاهِبِ وَحُزْنِهِ الجَارِفِ عَلَى فُقْدَانِهَا، رَابِعًا: أَنَّهَا مُعَبِّرَةٌ عَنْ قَرَارِهِ المُوجِعِ بِالتَّضْحِيَةِ بِابْنِهِ المُتَبَنَّى لِضَمَانِ اسْتِمْرَارِ مُلْكِهِ، هَذِهِ هِيَ المَشَاعِرُ وَالمَعَانِي الَّتِي حَمَلَتْهَا دُمُوعُ لِيُوبِي كَمَا رَوَتْهَا السِّجِلَّاتُ التَّارِيخِيَّةُ.

يَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِ الحَالَاتِ السِّتِّ لِبُكَاءِ لِيُوبِي أَنَّ نِصْفَهَا كَانَ بِسَبَبِ فُقْدَانِ الرِّجَالِ المَوْهُوبِينَ، وَأَنَّ أَشَدَّ دُمُوعِهِ عُمْقًا وَوَلَعًا كَانَتْ أَيْضًا مُرْتَبِطَةً بِهَؤُلَاءِ الأَفْرَادِ، فَلِمَاذَا تُسَلِّطُ دُمُوعُ لِيُوبِي الضَّوْءَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ المَوَاهِبِ؟ إِنَّ جَمَاعَةَ لِيُوبِي كَانَتْ تَتَأَلَّفُ مِنْ أَفْرَادٍ مُنْحَدِرِينَ مِنْ طَبَقَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ دَانِيَةٍ، مُعْظَمُهُمْ مِنَ المُحَارِبِينَ، مَعَ نَقْصٍ وَاضِحٍ فِي الاسْتِرَاتِيجِيِّينَ، وَفِي ظِلِّ حُرُوبِ الفَوْضَى بَيْنَ الأُمَرَاءِ، كَانَ النَّجَاحُ مُسْتَحِيلًا دُونَ وُجُودِ مُسْتَشَارِينَ يَمْتَلِكُونَ مَهَارَاتٍ عَالِيَةً وَذَكَاءً اسْتِثْنَائِيًّا، وَلِذَلِكَ، فِي سَعْيِهِ الدَّؤُوبِ لِبِنَاءِ إِرْثِهِ، وَبَعْدَ هَزَمَاتٍ مُتَكَرِّرَةٍ، أَدْرَكَ لِيُوبِي الأَهَمِّيَّةَ الحَاسِمَةَ لِلمَوَاهِبِ وَالتَّخْطِيطِ الاسْتِرَاتِيجِيِّ، وَقَدْ قَادَهُ هَذَا الإِدْرَاكُ إِلَى هَوَسٍ مُتَزَايِدٍ بِالبَحْثِ عَنْ مُسْتَشَارِينَ بَارِعِينَ ذَوِي دَهَاءٍ.

في تَجَلِّيَاتِ حُزْنِهِ العَمِيقِ على فِرَاقِ تِيَان يُو (Tian Yu)، وَفَيْضِ تَقْدِيرِهِ الجَمِّ لِشُو شُو (Xu Shu)، وَمَسْعَاهُ الدَّؤُوبِ في زِيَارَاتِهِ الثَّلاثِ لتشوغيه ليانغ وَصَدَى أَسَاهُ على رَحِيلِ بَانْغ تُونْغ وَفَا تْشِينْغ، تَتَجَلَّى لَنَا صُورَةٌ نَاصِعَةٌ لِعِنَايَتِهِ الفَائِقَةِ بِذَوِي العُقُولِ النَّيِّرَةِ وَالبَصَائِرِ الثَّاقِبَةِ،وَلَقَدْ كَانَ وَلَعُهُ وَإِجْلالُهُ لِهَؤُلاءِ الأَفْذَاذِ مِنَ المُفَكِّرِينَ الاسْتِرَاتِيجِيِّينَ يَنْبَعُ مِنْ غَايَةٍ عَمَلِيَّةٍ جَلِيَّةٍ، إِذْ كَانَ يَرْنُو بِبَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ إِلى مَا يَمْتَلِكُونَ مِنْ مَقْدِرَةٍ فَذَّةٍ عَلى إِعْلاءِ صَرْحِ طُمُوحَاتِهِ وَتَحْقِيقِ مَآرِبِهِ السَّامِيَةِ.

بَكَى عَلَى رَحِيلِ تِيَانْ يُو بُكَاءً مُرّاً، إِذْ حَالَ الفراق دُونَ تَحْقِيقِ آمَالِهِمَا المُشْتَرَكَةِ، وَمَا كَانَا يَطْمَحَانِ إِلَيْهِ مِنْ إِنْجَازِ الأَعْمَالِ العَظِيمَةِ مَعاً.

- بَكَى عَلَى بَانْغ تُونْغ بُكَاءً شَدِيداً، إِذْ كَانَ هُوَ مَنْ بَدَّدَ مَا يُسَاوِرُهُ مِنْ شُكُوكٍ حَوْلَ الاسْتِيلاءِ عَلَى بِي، فَقَدْ قَدَّمَ لَهُ ثَلاثَ خُطَطٍ مُحْكَمَةٍ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ الهَدَفِ، فَكَانَتْ خُطْوَةً عَظِيمَةً عَلَى دَرْبِ طُمُوحَاتِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ.
- بَكَى عَلَى فَا تْشِنْغ بُكَاءً حَارّاً، إِذْ كَانَ صَاحِبَ الفَضْلِ فِي تَقْدِيمِ المعلومات الحَاسِمَةِ الَّتِي مَهَّدَتْ السَّبِيلَ لِلاسْتِيلاءِ عَلَى بِي، ثُمَّ كَانَ هُوَ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِخُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ لغزو هَانْزُونْغ، وَرَافَقَهُ فِي حَمْلَتِهِ العَسْكَرِيَّةِ، وَكَانَ عَوْناً لَهُ حَتَّى اعْتَلَى عَرْشَ هَانْزُونْغ مَلِكاً.

كَانَ هَذَانِ الرَّجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ المَآثِرِ العَظِيمَةِ، إِذْ آزَرَا لِيُوبِي الَّذِي ظَلَّ ثَلاثِينَ عَاماً يَجُوبُ الآفَاقَ لا يَسْتَقِرُّ بِهِ مَقَامٌ، حَتَّى أَرْسَيَا مَعَهُ دَعَائِمَ مُلْكِهِ، فَكَانَ رَحِيلُهُمَا المُبَكِّرُ - وَهُمَا مِنْ أَصْحَابِ التَّدْبِيرِ الحَصِيفِ الَّذِينَ كَانَ يَعْقِدُ عَلَيْهِمْ آمَالَهُ فِي تَحْقِيقِ طُمُوحَاتِهِ - سَبَباً فِي حُزْنٍ عَمِيقٍ أَثْقَلَ فُؤَادَهُ،فَكَانَ كُلَّمَا جَرَى ذِكْرُهُمَا فِي مَجْلِسِهِ انْهَمَرَتْ دُمُوعُهُ كَالغَيْثِ، وَظَلَّ أَيَّاماً يَذْرِفُ العَبَرَاتِ عَلَى فَقْدِهِمَا، كَأَنَّهُ فَقَدَهُمَا بِالأَمْسِ القَرِيبِ.
كَانَتْ دُمُوعُهُ تَنِمُّ عَنْ صِدْقِ مَشَاعِرِهِ وَعَمِيقِ وَفَائِهِ، وَتَكْشِفُ عَنْ رَغْبَةٍ مُتَأَجِّجَةٍ فِي نَفْسِهِ لِإِعَادَةِ مَجْدِ سُلالَةِ الهَانْ وَتَحْقِيقِ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ طُمُوحَاتٍ عِظَامٍ، فَكَانَتْ عَبَرَاتُهُ تُتَرْجِمُ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ مِنْ آمَالٍ وَأَحْلامٍ لَمْ تَكْتَمِلْ بَعْدُ.

ليوبي، الذي ارتقى من أصول متواضعة لتحقيق النجاح والصعود إلى العرش الإمبراطوري، تم تحليله من قبل الأجيال اللاحقة لأسباب مختلفة.
تشمل هذه الأسباب:

- مثابرته في مواجهة النكسات.
- فضيلته ورحمته التي كسبت قلوب العلماء والعامة على حد سواء.
- احترامه للأفراد الموهوبين.

ومع ذلك، فإن تفسير سجلات *الممالك الثلاث* وتعليقات بي سونغتشي (Pei Songzhi)، تسلط الضوء على نقطة حاسمة:
إِنَّ المَوهِبَةَ عِمادٌ لا غِنى عنهُ في بناءِ الإرثِ إبّانَ أزمنةِ الفوضى، والتخطيطُ الاستراتيجيُّ عُمدةٌ لا سبيلَ إلى النَّجاحِ في مثلِ هذهِ الأوقاتِ المُضطَرِبَةِ.

- **رومنسية الممالك الثلاث**

رُوْمَانِسِيَّةُ الْمَمَالِكِ الثَّلَاثِ تَجَلَّتْ فِي نُسْخَتَيْنِ رَئِيسَتَيْنِ الأُولَى هِيَ "رُوْمَانِسِيَّةُ الْمَمَالِكِ الثَّلَاثِ الشَّعْبِيَّةُ" الَّتِي ظَهَرَتْ فِي زَمَنِ هُوْنْغْتِشِي (Hongzhi) مِنْ عَصْرِ أُسْرَةِ مِيْنْغ (Ming)، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ "رُوْمَانِسِيَّةُ الْمَمَالِكِ الثَّلَاثِ" الَّتِي نُقِّحَتْ وَأُضِيفَتْ إِلَيْهَا التَّعْلِيْقَاتُ بِقَلَمِ مَاوُو لُوْنَ (Mao Lun) وابنه مَاوُو تْسُوْنْغَانْغَ (Mao Zonggang) فِي زَمَنِ كَانْغْشِي (Kangxi) مِنْ حُكْمِ أُسْرَةِ تْشِيْنْغَ (Qing) وَتُعْرَفُ هَذِهِ النُّسْخَةُ عَادَةً بِاسْمِ "نُسْخَةِ مَاوُو"، وَقَدِ اشْتَهَرَتْ هَذِهِ الْأَخِيرَةُ وَانتَشَرَتْ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى غَدَتِ النُّسْخَةَ الْأَشْهَرَ وَالْأَكْثَرَ تَدَاوُلًا، وَفِي

نُسْخَةِ مَاوُو، تَمَّ تَضْخِيْمُ مَشَاهِدِ بُكَاءِ لِيُوْبِيْ بِشَكْلٍ لَافِتٍ، حَيْثُ تَصَاعَدَتْ حَالَاتُ انْفِعَالِهِ الْعَاطِفِيِّ لِتَشْمَلَ الدُّمُوْعَ الْغَزِيْرَةَ وَالنَّحِيْبَ الْعَمِيْقَ، بَلْ وَحَتَّى الإِغْمَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ نَحْوَ ثَلَاثِيْنَ مُنَاسَبَةً لِلْبُكَاءِ، تَنَوَّعَتْ بَيْنَ الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْدَاثِ، لِيَبْلُغَ مَجْمُوْعُ حَالَاتِ الْبُكَاءِ قَرِيْبًا مِنَ الْمِائَةِ مَرَّةٍ، وَهَكَذَا، اسْتَنَدَ هَذَا النَّصُّ إِلَى نُسْخَةِ مَاوُو كَمَرْجِعٍ أَسَاسِيٍّ لِجَمْعِ وَتَدْوِيْنِ تِلْكَ الْحَالَاتِ الَّتِي جَسَّدَتْ دُمُوْعَ لِيُوْ بِيْ. ①"

1. "عند فراقه لتشاو يون (Zhao Yun) ، أمسك بيده وذرف الدموع" الفصل السابع، "Xuande (شواندي) (ليوبي) أمسك بيده وبكى أثناء الفراق الفصل 11.
2. عندما خسر تشانغ في (Zhang Fei) مدينة شياوبي (Xiaopei) وأراد الانتحار، منعه ليوبي وبكى بحرقة الفصل 15.
3. عندما علم أن ليو آن (Liu An) قتل زوجته لإطعامه، كان ليوبي حزينًا للغاية وذرف الدموع الفصل 19.
4. ليوبي رأى أن اللحم على فخذيه قد عاد للنمو، ولم يتمكن من منع نفسه من ذرف الدموع الفصل 34.
5. عندما أخبر شو شو (Xu Shu) أن والدته قد سُجنت من قبل تساو تساو، "بكى شواندي (Xuande) (ليوبي) بحرقة عند سماع هذا الخبر"؛ وبكيا معًا "وجهاً لوجه"؛ وعندما ودعوا شو شو ، "سالَت دموعهم مثل المطر"؛ وعندما ابتعد شو شو ، "صرخ شواندي باكيًا... محدقًا بعيون دامعة" (الفصل 36).
6. خلال الزيارات الثلاث إلى الكوخ، عندما رفض تشوغيه ليانغ ترك عزلته، "بكى شواندي وقال: 'إذا لم تخرج، ماذا سيحدث للشعب؟' وبعد أن تحدث، بللت دموعه أكمامه، واغتسلت ثيابه بالدموع" (الفصل 38).
7. عندما أوصى ليو بياو بابنه اليتيم إلى ليوبي، "بكى شواندي وانحنى"؛ وعندما توفي ليو بياو ، "بكى شواندي بحرقة عند سماع الخبر"؛ وعندما نصحه تشوغيه ليانغ و يي جي (Yi Ji) بالاستيلاء على اقليم جينغ، "ذرف شواندي الدموع وقال" (الفصل 40).
8. عندما مرّ بقبر ليو بياو ، "بكى ليوبي وصلى" (الفصل 41).
9. أثناء الهروب من فانتشنغ (Fancheng) "صرخ شواندي بحزن عندما رأى معاناة الناس من القارب"؛ "وعندما وصل القارب إلى الشاطئ، نظر إلى الناس الذين لم يعبروا بعد وبكى، محدقًا نحو الجنوب"؛ وعندما نصحه أحدهم بالتخلي عن الناس والفرار، "بكى Xuande وقال" (الفصل 41).
10. بعد هزيمة لِيُوْ بِيْ، ولَمَّا رأى أنَّه لم يبقَ معه سوى مئة من أتباعه، بكى شُوَانْدِي بحرقة وقال: (الفصل 41).
11. عندما عاد تشاو يون (Zhao Yun) بعد إنقاذ آه دو (Adou) ليو تشان (Liu Shan) ورأى ليوبي، ترجّل وجثم على الأرض وهو يبكي، وبكى شواندي أيضًا " (الفصل 42).
12. عندما سمع بوفاة ليوتشي (Liu Qi) بسبب المرض، "بكى شواندي بحرقة ولم يتمكن من التوقف" (الفصل 53).
13. خلال تحالف الزواج مع وو الشرقية، عندما علم ليوبي بوجود كمين، "ركع أمام Lady Wu (والدة سون تشوان) وانتحب " (الفصل 54).
14. ولمّا حثَّ تشاو يون (Zhao Yun) سيده ليوبي على الرجوع، وقع بصرُ شواندي على السيدة سون، شقيقة سون تشوان، فذرفت عيناه الدموع خِلسةً، فلما استفسرت عن علة بكائه، جثا على ركبتيه وأخذ

يبوح بما في صدره، وما إن فرغ من حديثه حتى انهمرت دموعه كوابل المطر، ثم لما أقبل الطالبون وقرأ الكتاب المكتوم، هرول شواندي نحو العربة متضرعاً إلى السيدة سون والدمع يترقرق في مآقيه (الفصل 55).

15. بعد الهروب من أراضي وو، "تذكر شواندي فجأة الحياة الفاخرة في وو ولم يتمكن من منع نفسه من ذرف الدموع الحزينة" (الفصل 55).

16. عندما اقترح لو سو من مملكة وو الشرقية إعادة إقليم جينغ، "غطى شوَندي (ليو بي) وجهه وانفجر في البكاء بشدة عند سماع ذلك"، وعندما سأله لو سو عن السبب، "واصل ليو بي البكاء دون توقف"، ثم شرح كونغ مينغ (تشوجيه ليانغ) الأمر بطريقة "لامست قلب ليو بي، مما جعله يضرب صدره ويرفس الأرض وينوح بصوت عالٍ" (الفصل 56).

17. عند استقبال تشانغ سونغ (Zhang Song)، "رفع ليو بي كأس النبيذ وقال لتشانغ سونغ... وبعد كلامه، انهمرت دموعه" (الفصل 60).

18. عند لقاء ليو تشانغ (Liu Zhang) في إقليم شو، "بعد تبادل المجاملات، ذرف ليوبي الدموع وعبّر عن مشاعره الصادقة" (الفصل 60).

19. عندما علم بوفاة بانغ تونغ، "بكى ليوبي بشدة وهو ينظر غربًا" (الفصل 63).

20. عند استسلام ليو تشانغ وخروجه من المدينة، "خرج ليوبي من معسكره لملاقاته، وأمسك بيده وذرف الدموع" (الفصل 65).

21. عندما أبلغ لياو هوا (Liao Hua) عن خطورة موقف غوان يو، "بكى ليوبي وقال" (الفصل 77).

22. حين بلغه نبأ مصرع غوان يو ونجله، خرّ ليوبي أرضاً باكياً، ولما وافى جوان شينغ (Guan Xing) وهو ينتحب من فرط الأسى، أطلق ليوبي صرخةً مدويةً وسقط مغشياً عليه من شدة البكاء، وعمد المسؤولون إلى إفاقته، غير أنه كان يُغمى عليه من البكاء ثلاث إلى خمس مرات في اليوم الواحد، وظل ثلاثة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً، ولم يزل يذرف الدموع حتى ابتلت ثيابه وتحولت إلى بقع من الدماء، ثم خرج من البوابة الجنوبية مستدعياً روح غوان يو ومقدماً القرابين، "وظل ينتحب طوال النهار." (الفصل 78).

23. عند سماع شائعات عن مقتل إمبراطور الهان، "بكى ملك هانزونغ (ليو بي) بشدة طوال اليوم" (الفصل 80).

24. ولما بلغ تشانغ في (Zhang Fei) أنّ ليوبي قد عزف عن الخروج لمحاربة مملكة وو، مستجيباً لنصح مستشاريه، هرع إليه مسرعاً، فألقى بنفسه على الأرض متشبثاً بقدم ليوبي وهو يبكي، فأجهش ليوبي بالبكاء معه. (الفصل 81).

25. عندما جاء جوان شينغ (Guan Xing) "رأى ليوبي جوان شينغ، فتذكر غوان يو، وبدأ في البكاء بصوت عالٍ" (الفصل 81).

26. عندما بلغ ليوبي نبأ وفاة تشانغ في، فجع به فجعًا شديدًا، فبكى بكاءً مريرًا حتى أغمي عليه، ولما قدم إليه تشانغ باو (Zhang Bao)، قال حزينًا: "رؤية هذين الابنين تقطع أحشائي"، وبعد أن قال ذلك، بكى مجددًا، وأضاف: "لقد مات كلا أخوي، فكيف لي أن أعيش بمفردي؟" ثم خر على الأرض وبكى (الفصل 81).

27. لما نظر ليوبي إلى رأس تشانغ في في الصندوق، بدا وجهه هادئًا، ولكن دمعته سالت سيلًا، وانهار باكياً، " (الفصل 83).

28. أثناء مرض ليوبي في قلعة بايدي، "ظل يبكي على أخويه جوان وتشانغ، مما زاد من سوء حالته الصحية"، وفي المنام، رأى جوان وتشانغ، "فأمسكهما وبدأ في البكاء بشدة" (الفصل 85).

29. ولما قدم تشوجيه ليانغ إلى مدينة بايدي (Baidi) ووقع بصر ليوبي عليه، ربّت على ظهره قائلاً... ثم انهمرت الدموع على وجنتيه، فأمر ليوبي حاشيته بإنهاض تشوجيه ليانغ، رافعاً إحدى يديه ليمسح دموعه، والأخرى ليصافحه. (الفصل 85).

30. أثناء وصيته، قال ليو بي وهو يبكي: "قدراتك تفوق قدرات تساو بي بعشرة أضعاف..." (الفصل 85).

المفارقات بين رواية رومانسية الممالك الثلاث والسجلات التاريخية في تصوير بكاء ليوبي

بالموازنة مع "حالات البكاء الست" التي أثبتتها النصوص التاريخية، عمدت رواية "رومانسية الممالك الثلاث" إلى تعديل مشاهد بكاء ليوبي عبر الحذف والاستبدال والإبقاء والإضافة، حتى بلغت أكثر من ثلاثين حدثاً ومئات المواقف، ومن ذلك:

- أُسقطت مشاهد بكائه على فا تشنغ (Fa Zheng) وليو فنغ (Liu Feng) من الرواية.
- استُبدل مشهد بكائه على تيان يو (Tian Yu) ببكائه على تشاو يون (Zhao Yun.)
- من بين المشاهد الثلاثة المتبقية، حافظت الرواية على مشهدي بكائه عند رؤية اللحم على فخذيه وبكائه على وفاة بانغ تونغ دون تغيير، في حين زادت من تكرار بكائه على ليو بياو.
- أضافت الرواية عدداً وافراً من مشاهد البكاء الجديدة، تجاوزت العشرين حدثاً.
- أكثرت من تكرار البكاء في كل حدث، حتى غدا من العسير إحصاؤه بدقة.
- وفوق ذلك، بالغت في وصف شدة البكاء حتى بلغت حداً يتجاوز التصديق.

إِنَّ التَّحْلِيلَ العَاطِفِيَّ لِمَشَاهِدِ البُكَاءِ يُظْهِرُ أَنَّ الدُّمُوعَ الوَارِدَةَ فِي السِّجِلَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ تَعْكِسُ مَشَاعِرَ صَادِقَةً، نَابِعَةً مِنْ لَحَظَاتِ الصَّدْمَةِ النَّفْسِيَّةِ أَوِ المَشَاعِرِ العَمِيقَةِ، وَلَيْسَتْ تَظَاهُرًا أَوْ تَصَنُّعًا، وَيَتَجَلَّى هَذَا فِي سِيَاقِ الأَحْدَاثِ المُحِيطَةِ بِكُلِّ مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ البُكَاءِ.

بَيْدَ أَنَّ بُكَاءَ لِيُوبِي فِي رِوَايَةِ 'رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ' يَأْخُذُ مَنْحًى مُغَايِرًا فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ، فَقَدْ صُوِّرَ قِسْطٌ كَبِيرٌ مِنْ دُمُوعِهِ عَلَى أَنَّهَا حِيلَةٌ تَكْتِيكِيَّةٌ تُسْتَخْدَمُ لِمَآرِبَ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ عَسْكَرِيَّةٍ، كَاسْتِرَاتِيجِيَّةٍ لِاسْتِدْرَارِ العَطْفِ أَوِ اكْتِسَابِ الثِّقَةِ، مِمَّا يَتْرُكُ انْطِبَاعًا بِالزَّيْفِ وَانْعِدَامِ الإِخْلَاصِ، وَفِي حِينِ قَدْ تَنْطَوِي بَعْضُ نَوْبَاتِ البُكَاءِ عَلَى مَشَاعِرَ حَقِيقِيَّةٍ، فَإِنَّ المُبَالَغَةَ الشَّدِيدَةَ فِي وَصْفِهَا تَجْعَلُهَا عَصِيَّةً عَلَى التَّصْدِيقِ، وَلَمْ يَكُنْ صَادِقًا حَقًّا إِلَّا فِي نَزْرٍ يَسِيرٍ مِنْ مَوَاقِفِ البُكَاءِ.

إِنَّ كَثْرَةَ مَوَاقِفِ البُكَاءِ المُصْطَنَعِ وَالدُّمُوعِ المُبَالَغِ فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى نَتِيجَةٍ عَكْسِيَّةٍ، إِذْ تَكْشِفُ عَنْ دَهَاءِ لِيُوبِي وَنِفَاقِهِ كَبَطَلٍ قَاسٍ.

عِنْدَ تَأَمُّلِ أَسْبَابِ البُكَاءِ، نَجِدُ أَنَّ دُمُوعَ لِيُوبِي فِي النُّصُوصِ التَّارِيخِيَّةِ كَانَتْ بَسِيطَةً وَمُبَاشَرَةً، غَيْرَ أَنَّهَا فِي رِوَايَةِ 'رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ' قَدِ اتَّخَذَتْ طَابِعًا أَكْثَرَ تَعْقِيدًا وَتَنَوُّعًا، فَهُنَاكَ دُمُوعٌ تُجَسِّدُ الوَلَاءَ لِسُلَالَةِ الهَانِ، كَـ'بُكَائِهِ المُرِيرِ طَوَالَ النَّهَارِ' حِينَ بَلَغَهُ نَبَأُ قَتْلِ إِمْبَرَاطُورِ الهَانِ، وَهُنَاكَ دُمُوعٌ تُظْهِرُ لِيُوبِي قَائِدًا رَحِيمًا فَاضِلًا، يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الأُمَّةِ وَشَعْبِهَا، كَبُكَائِهِ حِينَ تَوَسَّلَ إِلَى تْشُوغيه لِيَانْغ لِتَرْكِ عِزْلَتِهِ، أَوْ صَرَخَاتِهِ المُتَكَرِّرَةِ حِينَ رَأَى مَعَانَاةَ الشَّعْبِ، وَهُنَاكَ دُمُوعٌ تُبْرُزُ عَدْلَهُ وَرَحْمَتَهُ، كَبُكَائِهِ عَلَى لِيُو بِيَاوُو ، وَحُزْنِهِ عَلَى وَفَاةِ لِيُو تْشِي (Liu Qi) ، وَدُمُوعِهِ عِنْدَ اسْتِسْلَامِ لِيُو تْشَانْغ (Liu Zhang) ، وَهُنَاكَ دُمُوعٌ تُجَسِّدُ أُخُوَّتَهُ وَوَفَاءَهُ، كَبُكَائِهِ عَلَى وَفَاةِ غُوَان يُو وَتْشَانْغ فِي، وَهُنَاكَ دُمُوعٌ تُعَكِّسُ تَقْدِيرَهُ

لِلْعُلَمَاءِ وَالمَوَاهِبِ، كَبُكَائِهِ عَلَى فِرَاقِ شُو شُو (Xu Shu)، وَحُزْنِهِ العَمِيقِ عَلَى وَفَاةِ بَانْغ تُونْغ ، وَأَخِيرًا، هُنَاكَ دُمُوعٌ تُظْهِرُ مَشَاعِرَهُ الإِنْسَانِيَّةَ الصَّادِقَةَ، كَبُكَائِهِ عِنْدَ فِرَاقِ تْشَاو يُون (Zhao Yun)، أَوْ حُزْنِهِ حِينَ عَلِمَ أَنَّ لِيُو آن قَتَلَ زَوْجَتَهُ لِيُطْعِمَهُ.

يَتَجَلَّى أَنَّ رِوَايَةَ 'رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ'، بِوَصْفِهَا عَمَلًا رِوَائِيًّا، تُعِيدُ تَشْكِيلَ شَخْصِيَّةِ لِيُوبِي، فَسَعْيًا لِإِبْرَازِ رَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَإِخْلَاصِهِ، يُكْثِرُ المُؤَلِّفُ مِنْ تَصْوِيرِ بُكَائِهِ فِي مَوَاقِفَ شَتَّى، كَمَا أَشَارَ بَعْضُ البَاحِثِينَ فِي هَذَا الصَّدَدِ: 'تُضْفِي رِوَايَةُ 'رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ' سِمَةً مُتَفَرِّدَةً عَلَى شَخْصِيَّةِ لِيُوبِي - وَهِيَ نَزُوعُهُ إِلَى البُكَاءِ، وَتَتَبَايَنُ بَوَاعِثُ بُكَائِهِ وَصُوَرُهُ، غَيْرَ أَنَّ قَصْدَ المُؤَلِّفِ جَلِيٌّ: لَمْ يَكُنْ غَرَضُهُ تَشْوِيهَ صُورَتِهِ، بَلْ إِظْهَارَ 'طُمُوحِهِ العَظِيمِ'، وَ'عَدْلِهِ الجَلِيلِ'، وَ'فَضَائِلِهِ السَّامِيَةِ'، وَ'حِكْمَتِهِ الاسْتِرَاتِيجِيَّةِ'، وَ'عُمْقِهِ العَاطِفِيِّ'، وَقُدْرَتَهُ عَلَى 'التَّكَيُّفِ مَعَ الظُّرُوفِ'، كُلُّ ذَلِكَ لِتَجْلِيَةِ حَيَاتِهِ المُضْطَرِبَةِ الشَّاقَّةِ، وَاسْتِدْرَارِ المَزِيدِ مِنَ التعاطف والفهم من القراء'. [6] 413

لَيْسَ مَوْضُوعُ هَذَا المَقَالِ تَقْيِيمَ نَجَاحِ رِوَايَةِ 'رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ' أَوْ إِخْفَاقِهَا فِي تَشْكِيلِ شَخْصِيَّةِ لِيُوبِي، إِنَّمَا يَسْعَى هَذَا المَقَالُ إِلَى تَبْيَانِ أَنَّ تَوْظِيفَ الرِّوَايَةِ لِلْبُكَاءِ لِتَأْكِيدِ رَحْمَةِ لِيُوبِي وَعَدْلِهِ قَدْ تَجَاوَزَ الحَدَّ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ، فَأَفْضَى إِلَى نَتِيجَةٍ مُعَاكِسَةٍ لِمَا قُصِدَ مِنْهُ، وَلْنَتَأَمَّلْ فِي هَذَا: كَيْفَ يُمْكِنُ لِرَجُلٍ يَخُوضُ غِمَارَ المَعَارِكِ وَيَتَنَقَّلُ فِي عَصْرٍ مُضْطَرِبٍ أَنْ يَنْفَجِرَ بِالبُكَاءِ عِنْدَ كُلِّ مُنْعَطَفٍ؟ أَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يُوحِي بِالضَّعْفِ وَقِلَّةِ الكَفَاءَةِ؟ وَيَتَجَلَّى هَذَا بِوَجْهٍ خَاصٍّ فِي مَوَاقِفَ كَبُكَائِهِ أَثْنَاءَ تَحَالُفِ الزَّوَاجِ مَعَ مَمْلَكَةِ وُو الشَّرْقِيَّةِ ، أَوْ حِينَ طَالَبَ لُو سُو بِاسْتِرْدَادِ إِقْلِيمِ جِينْغ ، فَحَتَّى لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الدُّمُوعُ تَكْتِيكِيَّةً، فَإِنَّ المُبَالَغَةَ فِيهَا ظَاهِرَةٌ، أَهَذَا حَقًّا هُوَ لِيُوبِي الَّذِي عُرِفَ بِاسْمِ 'بَطَلِ الصِّينِ'؟ مِنَ الجَلِيِّ أَنَّ هَذَا التَّصْوِيرَ يُلْحِقُ الضَّرَرَ بِصُورَتِهِ كَبَطَلٍ قَوِيٍّ مُقْتَدِرٍ فِي عَصْرِهِ.

إِنَّ الإِفْرَاطَ فِي تَصْوِيرِ بُكَاءِ لِيُوبِي فِي رِوَايَةِ 'رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ' يُعَدُّ مَأْخَذًا عَلَى الرِّوَايَةِ وَلَمْ يَكُنْ مُوَفَّقًا، وَقَدْ تَعَرَّضَ لِانْتِقَادَاتٍ مُتَكَرِّرَةٍ مِنَ النُّقَّادِ البَارِزِينَ أَمْثَالَ مَاوُو تْسُونْغَانْغ (Mao Zonggang) ، وَلِي تْشِي (Li Zhi) ، وَلِي يُو (Li Yu) ، فَعَقِبَ الزِّيَارَاتِ الثَّلَاثِ لِلكُوخِ، حِينَ أَبَى تْشُوغيه لِيَانْغ مُغَادَرَةَ عِزْلَتِهِ وَبَكَى لِيُوبِي ، عَلَّقَ لِي تْشِي قَائِلًا: 'بُكَاءُ لِيُوبِي يُشْبِهُ بُكَاءَ عَاهِرَةٍ حَدِيثَةٍ، إِنَّهُ مُثِيرٌ لِلسُّخْرِيَةِ.'

وَحِينَ فَرَّ لِيُوبِي مِنْ فَانْ تْشِينْغ (Fancheng) ، وَرَأَى مَعَانَاةَ النَّاسِ، فَبَكَى بِحَرْقَةٍ وَهَدَّدَ بِالقَفْزِ فِي النَّهْرِ، عَلَّقَ مَاوُو تْسُونْغَانْغ : *'تَهْدِيدُ لِيُوبِي بِالقَفْزِ فِي النَّهْرِ مُصْطَنَعٌ كَمُحَاوَلَاتِ تْسَاوُو تْسَاوُو لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ النَّاسِ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ أَدْرَكُوا خِدَاعَ تْسَاوُو تْسَاوُو وَلَمْ يَقْطِنُوا لِخِدَاعِ لِيُوبِي ، وَمَعَ تَصَنُّعِ كِلَيْهِمَا، فَإِنَّ لِيُوبِي يَفُوقُ تْسَاوُو تْسَاوُو فِي هَذَا المِضْمَارِ،' وَوَصَفَهُ لِي يُو بِأَنَّهُ 'تَصَنُّعٌ مُحْضٌ.'*

وَكَذَلِكَ فِي تَحَالُفِ الزَّوَاجِ مَعَ مَمْلَكَةِ وُو الشَّرْقِيَّةِ ، جَثَا لِيُوبِي أَمَامَ السَّيِّدَةِ وُو (وَالِدَةُ سُون تْشُوان) بَاكِيًا، مُتَوَسِّلًا المَوْتَ، وَكَرَّرَ الأَمْرَ ذَاتَهُ أَمَامَ السَّيِّدَةِ سُون (شَقِيقَةُ سُون تْشُوان)، وَعَلَّقَ مَاوُو تْسُونْغَانْغ عَلَى هَذَا 'البَطَلِ المُتَصَرِّفِ كَطِفْلٍ' قَائِلًا: 'تَوَسُّلُ المَوْتِ أَوَّلًا أَمَامَ حَمَاتِهِ، ثُمَّ أَمَامَ زَوْجَتِهِ، إِنَّهَا حِيلَةٌ مَعْهُودَةٌ تَلْجَأُ إِلَيْهَا النِّسَاءُ لِإِخَافَةِ أَزْوَاجِهِنَّ - فَمَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ يَلْجَأَ لِيُوبِي إِلَى مِثْلِ هَذَا المَسْلَكِ؟ إِنَّهُ لَدَاهِيَةٌ بَارِعٌ.'

وَلَمَّا جَاءَ لُو سُو مُطَالِبًا بِاسْتِرْدَادِ اقليم جِينْغ ، انْفَجَرَ لِيُوبِي بِالبُكَاءِ عِنْدَ كُلِّ مُنْعَطَفٍ، فَسَخِرَ مَاوُو تْسُونْغَانْغ مُسْتَفْتِيًا: 'مِنْ أَيْنَ لَهُ بِهَذِهِ الدُّمُوعِ الجَاهِزَةِ؟' وَأَضَافَ: 'كُلَّمَا زَادَ فِي التَّصَنُّعِ، ازْدَادَ إِقْنَاعًا،' وَفِي نَقْدِهِ العَامِّ، قَالَ مَاوُو : 'تَأَثَّرَ لُو سُو بِبُكَاءِ لِيُوبِي وَلَمْ يَقْوَ عَلَى الضَّغْطِ عَلَيْهِ - هَكَذَااستثار تصنع ليوبي للحزن تعاطفاً صادقاً في نفوس الآخرين."②

قَالَ السَّيِّدُ لُو شُون (Lu Xun) - وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الأَدَبِ الصِّينِيِّ - فِي مَعْرِضِ نَقْدِهِ لِرِوَايَةِ "رُومَانْسِيَّةُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ": "إِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَكَانَتِهَا المَرْمُوقَةِ، تَعَانِي مِنْ قُصُورٍ جَلِيٍّ فِي رَسْمِ

شَخْصِيَّاتِهَا، فَحِينَ سَعَى المُؤَلِّفُ إِلَى إِبْرَازِ صِفَاتِ الكَرَمِ وَاللُّطْفِ فِي شَخْصِيَّةِ لِيُوبِي، وَقَعَ فِي مَطْبٍ جَعَلَهُ يَظْهَرُ كَمُنَافِقٍ يَتَصَنَّعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ تَصَنُّعًا. [7] 5

وَقَدْ وَافَقَهُ فِي هَذَا الرَّأْيِ السَّيِّدُ هُو شِيه (Hu Shi)، إِذْ يَرَى أَنَّ عِلَّةَ هَذَا القُصُورِ تَكْمُنُ فِي طَبِيعَةِ مَنْ تَوَلَّوْا كِتَابَةَ الرِّوَايَةِ وَتَحْرِيرَهَا وَتَنْقِيحَهَا، فَهُمْ فِي نَظَرِهِ لَمْ يَكُونُوا سِوَى عُلَمَاءَ مَحْدُودِي الأُفُقِ، ضِيقِي النَّظَرِ، وَقَدْ عَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ قَائِلًا: "لَقَدْ كَانَ مَرَادُهُمْ تَصْوِيرَ **لِيُوبِي** فِي صُورَةِ الحَاكِمِ العَادِلِ الرَّحِيمِ، فَإِذَا بِهِمْ يُقَدِّمُونَهُ لِلْقَارِئِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ وَاهِنِ العَزِيمَةِ، قَلِيلِ الحِيلَةِ. [8] 15

أَمَّا السَّيِّدُ سُونْغ تْشَانْغ لِي (Song Changli)، فَقَدْ تَعَمَّقَ فِي تَحْلِيلِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ، مُسَلِّطًا الضَّوْءَ عَلَى أُسْلُوبِ الكَاتِبِ مَاوُو تْسُونْغَانْغ (Mao Zonggang) فِي مُعَالَجَةِ شَخْصِيَّةِ لِيُوبِي ، فَقَدْ لَاحَظَ أَنَّ الكَاتِبَ، فِي سَعْيِهِ الحَثِيثِ لِإِظْهَارِ رَحْمَةِ لِيُوبِي وَوَلَعِهِ بِالعَدْلِ، قَدْ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِخْدَامِ فِعْلِ "البُكَاءِ" كَوَسِيلَةٍ لِتَأْكِيدِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَيَبْدُو أَنَّ الكَاتِبَ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ تَكْرَارَ مَشَاهِدِ بُكَاءِ لِيُوبِي سَيَكُونُ أَبْلَغَ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِ مَشَاعِرِهِ وَإِخْلَاصِهِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الإِفْرَاطَ فِي اسْتِخْدَامِ البُكَاءِ كَأَدَاةٍ تَعْبِيرِيَّةٍ لَمْ يُؤَدِّ دَائِمًا إِلَى النَّتِيجَةِ المَرْجُوَّةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ مَوَاقِفِ البُكَاءِ جَاءَتْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا المُنَاسِبِ، مِمَّا جَعَلَ شَخْصِيَّةَ لِيُوبِي تَبْدُو مُتَصَنَّعَةً وَمُنَافِقَةً. كَمَا يَقُولُ المَثَلُ الشَّعْبِيُّ: 'إِمْبَرَاطُورِيَّةُ لِيُوبِي ـــبُنِيَتْ عَلَى الدُّمُوعِ'، وَهُوَ قَوْلٌ يَعْكِسُ بِجَلَاءٍ نَظْرَةَ النَّاسِ السَّاخِرَةَ إِلَى هَذَا التَّكْرَارِ المَمِلِّ لِمَشَاهِدِ البُكَاءِ، كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ فِي ذَلِكَ مُبَالَغَةً تَخْرُجُ عَنْ حَدِّ المَعْقُولِ وَالمَقْبُولِ، [9]312 بَيْدَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا المَقَامِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ: الأَوَّلُ مَا جَاءَ فِي التَّارِيخِ مِنْ أَخْبَارِ الشَّخْصِيَّاتِ وَأَحْوَالِهَا، وَالثَّانِي مَا نَسَجَهُ الخَيَالُ الفَنِّيُّ مِنْ صُورٍ وَأَوْصَافٍ فِي عَالَمِ الأَدَبِ وَالإِبْدَاعِ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَآلُفٌ وَتَجَاوُرٌ فِي سَاحَةِ الأَدَبِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَخْتَلِطَ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، أَوْ يُظَنَّ أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا المَعْنَى أَنَّ **لِيُوبِي** - كَمَا تَشْهَدُ بِهِ كُتُبُ التَّارِيخِ - لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِ البُكَاءُ، وَلَا كَانَ مَعْرُوفًا عَنْهُ كَثْرَةُ الدُّمُوعِ، خِلَافًا لِمَا صَوَّرَهُ الأُدَبَاءُ فِي رِوَايَاتِهِمْ وَقَصَصِهِمْ.

البُكَاءُ لَيْسَ سِمَةً مُمَيِّزَةً لِشَخْصِيَّةِ لِيُوبِي

إِنَّ النَّاظِرَ المُتَأَمِّلَ فِي شَخْصِيَّةِ **لِيُوبِي** التَّارِيخِيَّةِ يَجِدُ أَنَّ البُكَاءَ لَمْ يَكُنْ مِنْ سِمَاتِهِ البَارِزَةِ وَلَا مِنْ طِبَاعِهِ المَعْهُودَةِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الأُدَبَاءِ مِنْ مُجَانَبَةِ الصَّوَابِ فِي تَصْوِيرِهِ، وَإِنَّ مِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا القَوْلَ مَا ثَبَتَ فِي سِيرَتِهِ مِنْ نُشْأَتِهِ اليَتِيمَةِ، إِذْ فَقَدَ وَالِدَهُ فِي صِغَرِهِ، فَعَاشَ مَعَ أُمِّهِ يُكَابِدَانِ شَظَفَ العَيْشِ، يَقْتَاتَانِ مِمَّا تَجُودُ بِهِ صِنَاعَةُ الصَّنَادِلِ القَشِّيَّةِ وَحِيَاكَةُ الحَصَرِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ النُّشْأَةَ القَاسِيَةَ فِي قَاعِ المُجْتَمَعِ قَدْ صَقَلَتْ شَخْصِيَّتَهُ وَقَوَّتْ عَزِيمَتَهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي "سِجِلَّاتِ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ: سِيرَةُ لِيُوبِي" مَا يُؤَكِّدُ هَذَا المَعْنَى، إِذْ وُصِفَ فِي شَبَابِهِ بِأَنَّهُ كَانَ "هَادِئَ الكَلَامِ، مُحْتَرِمًا لِلْآخَرِينَ، لَا يُظْهِرُ مَشَاعِرَهُ بِسُهُولَةٍ"، فَكَانَ - كَمَا يَتَّضِحُ مِنْ هَذَا الوَصْفِ - رَجُلًا مُتَحَفِّظًا فِي إِظْهَارِ مَشَاعِرِهِ، حَسَنَ الأَدَبِ مَعَ النَّاسِ، قَلِيلَ البُوحِ بِمَا يَخْتَلِجُ فِي نَفْسِهِ مِنْ فَرَحٍ أَوْ غَضَبٍ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شَخْصِيَّةٍ عَمِيقَةٍ تَمِيلُ إِلَى الانْطِوَاءِ.

وَإِذَا تَتَبَّعْنَا مَا وَرَدَ فِي "سِجِلَّاتِ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ" - بِمَا فِيهَا مِنْ تَعْلِيقَاتِ العَالِمِ **بِي سُونْغ تْشِي** - نَجِدُ أَنَّ ذِكْرَ انْفِعَالَاتِهِ كَالفَرَحِ بِدَرَجَاتِهِ المُخْتَلِفَةِ، وَالضَّحِكِ، وَالسُّرُورِ، وَالغَضَبِ بِمَرَاتِبِهِ، لَمْ يَرِدْ إِلَّا فِي مَوَاضِعَ مَعْدُودَةٍ، وَمِمَّا يَزِيدُ الأَمْرَ وُضُوحًا تِلْكَ المُقَارَنَةُ الدَّقِيقَةُ بَيْنَ بُكَاءِ القَادَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ أَسَّسُوا المَمَالِكَ الثَّلَاثَةَ - وَهُمْ

تساو تساو سون تشوان وليوبي، فقد سجل التاريخ لتساو تساو أربع عشرة مرة من البكاء [10]، ولسون تشوان ثلاث عشرة مرة، ③ في حين لم يُذكر عن ليوبي سوى ست مرات فقط، وفي هذه الإحصاءات ما يؤكد أن البكاء - سواء كان صادقاً أم متكلفاً - لم يكن من طباع ليو بي الأصيلة، ولعل في نشأته الصعبة ما جعله أقل ميلاً إلى ذرف الدموع.

أَمَّا الرِّوَايَةُ، فَقَدْ أَسْرَفَتْ فِي وَصْفِ بُكَائِهِ وَحُزْنِهِ، حَتَّى أَحْصَى العَادُّونَ لَهُ ثَلَاثِينَ مَوْضِعًا، وَكَانَ أَشَدَّهَا وَأَبْلَغَهَا فِي رِثَائِهِ لِصَاحِبَيْهِ غُوَان يُو وَتْشَانْغ فِي ، وَقَدْ بَالَغَتِ الرِّوَايَةُ فِي تَصْوِيرِ حُزْنِهِ عَلَيْهِمَا مُبَالَغَةً ظَاهِرَةً، فَوَصَفَتْهُ تَارَةً بِأَنَّهُ خَرَّ عَلَى الأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ البُكَاءِ، وَتَارَةً أُخْرَى بِأَنَّهُ كَانَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنَ النَّحِيبِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى خَمْسٍ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ، وَبَلَغَتْ بِهِ الحَالُ - كَمَا تَزْعُمُ الرِّوَايَةُ - أَنَّهُ امْتَنَعَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، لَا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى البُكَاءِ وَالصُّرَاخِ حَتَّى ابْتَلَتْ ثِيَابُهُ بِالدُّمُوعِ وَتَحَوَّلَتْ إِلَى مَا يُشْبِهُ بُقَعَ الدَّمِ، وَتَمْضِي الرِّوَايَةُ فِي وَصْفِ حَالِهِ فَتَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ يَصْرُخُ طَوَالَ يَوْمِهِ، وَأَنَّهُ غَلَبَهُ الحُزْنُ حَتَّى عَزَفَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِالأَرْضِ أَثْنَاءَ بُكَائِهِ، أَمَّا مَا جَاءَ فِي "سِجِلَّاتِ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ" وَمَا عَلَّقَ عَلَيْهِ العَالِمُ بِي سُونْغ تْشِي، فَإِنَّهُ يُرْوِي لَنَا صُورَةً مُغَايِرَةً كُلِّيًّا، فَلَمْ يَرِدْ فِي هَذِهِ المَصَادِرِ ذِكْرٌ لِبُكَائِهِ الشَّدِيدِ عَلَى فَقْدِ صَاحِبَيْهِ، بَلْ عَلَى العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، وَصَفَتِ السِّجِلَّاتُ مَا اعْتَرَاهُ مِنْ غَضَبٍ شَدِيدٍ وَسَخَطٍ عَظِيمٍ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا حِينَ عَلِمَ بِهُجُومِ سُون تْشُوان عَلَى غُوَان يُو ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا جَاءَتْهُ رِسَالَةٌ مِنْ سُون تشوان يطلب فيها الصلح، ردها في ثورة من الغضب. [1] 890

لَقَدْ سَجَّلَتْ "سِجِلَّاتُ المَمَالِكِ الثَّلَاثَةِ" وَصْفًا دَقِيقًا لِعَلَاقَةِ لِيُوبِي مَعَ غُوَان يُو وَتْشَانْغ فِي ، حَيْثُ وَصَفَتْهَا بِأَنَّهَا "مِثْلُ عَلَاقَةِ الإِخْوَةِ"، بَلْ إِنَّ الوَصْفَ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ الأُخُوَّةِ التَّقْلِيدِيَّةَ لِيُؤَكِّدَ أَنَّهُمْ كَانُوا "قَرِيبِينَ كَجَسَدٍ وَاحِدٍ، يَتَشَارَكُونَ الأَفْرَاحَ وَالأَحْزَانَ، وَيُوَاجِهُونَ الحَظُوظَ السَّيِّئَةَ وَالجَيِّدَةَ مَعًا"، [1] 1015 وقد كانت هذه الرابطة واضحة ومعروفة على نطاق واسع، حتى في مملكتي وي و وو.

يَبْرُزُ هَذَا الوَصْفُ مِنْ خِلَالِ شَهَادَاتِ المَسْؤُولِينَ وَالمُؤَرِّخِينَ المُعَاصِرِينَ، فَهَا هُوَ الاسْتِرَاتِيجِيُّ لِيُو يِيه (Liu Ye) يُقَدِّمُ تَحْلِيلًا عَمِيقًا لِطَبِيعَةِ العَلَاقَةِ، حَيْثُ قَالَ: "*كَانَ غُوَان يُو وَلِيُوبِي مُرْتَبِطَيْنِ بِالوَلَاءِ كَحَاكِمٍ وَمَرْءُوسٍ، وَلَكِنَّ عَاطِفَتَهُمَا كَانَتْ كَعَاطِفَةِ الأَبِ وَالابْنِ ليوبي سوف يقوم بالتأكيد بحشد جيش للانتقام من العدو*"[1] 446، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ الرَّابِطَةَ بَيْنَهُمَا تَجَاوَزَتْ حُدُودَ العَلَاقَةِ الرَّسْمِيَّةِ إِلَى عُمْقِ المَحَبَّةِ وَالإِخْلَاصِ، وَفِي مَوْقِفٍ آخَرَ، حَاوَلَ تْشُوغِيه جِين (Zhuge Jin) ثَنِيَ لِيُوبِي عَنْ مُهَاجَمَةِ وُو ، فَطَرَحَ عَلَيْهِ سُؤَالًا اسْتِنْكَارِيًّا: *كَيْفَ تُقَارِنُ قُرْبَ غُوَان يُو مِنْكَ بِالإِمْبَرَاطُورِ الرَّاحِلِ؟ كَيْفَ تُقَارِنُ حَجْمَ إِقْلِيمِ جِينْغ بِالعَالَمِ بِأَسْرِهِ؟ يَجِبُ الانتِقَامُ لِكِلَيْهِمَا، وَلَكِنْ أَيُّهُمَا يَأْتِي أَوَّلًا؟*

وَقَدْ عَلَّقَ العَالِمُ بِي سُونْغ تْشِي عَلَى هَذَا المَوْقِفِ بِكَلِمَاتٍ بَلِيغَةٍ تُصَوِّرُ عُمْقَ الرَّابِطَةِ، قَائِلًا: "*كَانَتِ الرَّابِطَةُ بَيْنَ لِيُوبِي وَغُوَان يُو كَالأَطْرَافِ، مَعَ فَقْدَانِ رِجْلِهِ اليُمْنَى، كَانَ حُزْنُ وَغَضَبُ لِيُوبِي عَمِيقَيْنِ، كَيْفَ يُمْكِنُ لِرِسَالَةِ إِقْنَاعٍ بَسِيطَةٍ أَنْ تَقِفَ فِي طَرِيقِهِ؟*" [1] 1233

وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِوَفَاةِ غُوَان يُو وَتْشَانْغ فِي ، تُؤَكِّدُ المَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ أَنَّ لِيُوبِي كَانَ مَمْلُوءًا بِالحُزْنِ العَمِيقِ وَالغَضَبِ، فَقَدْ اعْتَقَدَ عَدَدٌ مِنَ المَسْؤُولِينَ فِي مَمْلَكَةِ وِي أَنَّ لِيُوبِي لَنْ يُرْسِلَ قُوَّاتٍ لِلانتِقَامِ، بَلْ كَانَ لِيُو يِيه (Liu Ye) عَلَى يَقِينٍ مِنَ العَكْسِ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ السِّجِلَّاتِ التَّارِيخِيَّةَ لَا تُؤَكِّدُ بِشَكْلٍ قَاطِعٍ بُكَاءَ لِيُوبِي عَلَى وَفَاتِهِمَا، نَعَمْ، مِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّهُ كَانَ مَلِيئًا بِالحُزْنِ العَمِيقِ وَالغَضَبِ، وَرُبَّمَا بَكَى بِحُرْقَةٍ، وَلَكِنْ لَا تُوجَدُ إِشَارَاتٌ مُبَاشِرَةٌ فِي المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ تُؤَكِّدُ ذَلِكَ.

كَانَ لِيُوبِي رَجُلًا مِنْ طِينَةٍ فَرِيدَةٍ، يَحْمِلُ فِي صَدْرِهِ قَلْبًا مُتَوَهِّجًا بِالطُّمُوحِ لَا يَعْرِفُ الرُّكُودَ، فَمُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ كَانَ يَحْمِلُ قَلْبًا لَا يُرِيدُ أَنْ يَبْقَى صَامِتًا، فَشَكَّلَ تَحَالُفَاتٍ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي فَوْضَى العَصْرِ، خِلَالَ رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ وَالشَّاقَّةِ، وَاجَهَ هَزَائِمَ مُتَكَرِّرَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ أَبَدًا، وَسَعَى بِلا كَلَلٍ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ حَتَّى نَجَحَ فِي طُمُوحَاتِهِ، مُنْذُ أَنْ رَفَعَ رَايَةَ الجَيْشِ فِي عَامِ 184 مِيلَادِيَّةٍ حَتَّى إِعْلَانِهِ نَفْسَهُ إِمْبَرَاطُورًا فِي عَامِ 221 مِيلَادِيَّةٍ، قَضَى لِيُوبِي 38 عَامًا مِنَ الكِفَاحِ، وَ38 عَامًا مِنَ الحُرُوبِ، وَ38 عَامًا مِنَ الصُّعُوبَاتِ، وَ38 عَامًا مِنَ المُثَابَرَةِ، خِلَالَ هَذِهِ الفَتْرَةِ، هُزِمَتْ قُوَّاتُهُ مَرَارًا وَتَكْرَارًا، وَتَمَّ أَسْرُ زَوْجَاتِهِ وَأَطْفَالِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَبْكِ، لَقَدْ تَعَلَّمَ أَنْ يَتَحَمَّلَ، وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ حَزْمًا وَإِصْرَارًا، وَعِنْدَمَا وَافَتْهُ المُصِيبَةُ بِفَقْدِ رَفِيقَيْ دَرْبِهِ غُوَان يُو وَتْشَانْغ فِي، وَهُوَ فِي عِنْفُوَانِ الشَّيْخُوخَةِ، كَانَ قَدْ تَجَاوَزَ

مَرْحَلَةَ الدُّمُوعِ، فَقَدْ عَلَّمَتْهُ التَّجَارِبُ القَاسِيَةُ أَنْ يَبْتَلِعَ الأَلَمَ، وَأَنْ يُحَوِّلَ الحُزْنَ إِلَى غَضَبٍ وَعَزِيمَةٍ، وَكَمَا قَالَ عَنْهُ وُو يُولِيَان (Wu Yulian): "قَضَى لِيُوبِي جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ حَيَاتِهِ فِي ظُرُوفٍ صَعْبَةٍ، مِمَّا عَلَّمَهُ فَنَّ تَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ، وَبِالتَّالِي، كَانَتْ لَهُ العَزِيمَةُ الَّتِي لَا تَلِينُ لِابْتِلَاعِ أَلَمِهِ وَدَمِهِ دُونَ أَنْ يَذْرِفَ الدموع بسهولة. [11] 272

إن سيرة ليو بي لتمثل درساً بليغاً في الصمود والإصرار، وأنموذجاً فريداً لمن يريد أن يتعلم معنى المثابرة والعزيمة حقا، إنّ خوض غمار تأسيس الامبراطورية لا يحتمل ذرف الدموع، ولا يسمح بالانهيار، فالبكاء ليس من صفات ليوبي؛ بل إنّ صورته التاريخية تتجسّد في الصمود وعدم البكاء، أو على الأقل ندرة إظهار الدموع.

المراجع:

① **"رومنسية الممالك الثلاث"**، المؤلف الأصلي: [مينغ] لوو غوانتشونغ، نقحها وعلق عليها: [تشينغ] ماو تسونغانغ، نشرت بواسطة دار نشر شانغهاي للكلاسيكيات، عام 1989.

② **"نسخة التعليقات المشتركة لرومنسية الممالك الثلاث"**، جمعها وتحقيقها: تشن شي تشونغ، سونغ شيانغ روئي، لو يو تشوان، نشرت بواسطة دار نشر جامعة بكين، عام 1986، الصفحات 478، 516، 670، 694.

③ **"البكاء يعكس عمق المشاعر — تحليل عاطفي لبكاء تساو تساو أربع عشرة مرة في حياته"**، بقلم تان ليانغ شياو، نُشر في "مجلة جامعة شيهوا للمعلمين (فلسفة وعلوم اجتماعية)"، العدد 6، عام 2019. أما عن بكاء سون تشوان، فسيتم تناولها في ورقة بحثية منفصلة.

[1] **[جين]** تشين شو. **سجلات الممالك الثلاث** [M]. تعليق: **[سونغ الجنوبية] ** بي سونغ تشي. بكين: دار نشر تشونغهوا، 1959.

[2] لو بي. **شرح سجلات الممالك الثلاث** [M]. بكين: دار نشر تشونغهوا، 1982.

[3] **[شمال سونغ]** سيما غوانغ. **مرآة التاريخ الشاملة** [M]. تعليق صوتي: **[يوان]** هو سانشينغ. بكين: دار نشر تشونغهوا، 1956.

[4] تشن شي تشونغ، وآخرون، جمع وتحقيق. **نسخة التعليقات المشتركة لرومنسية الممالك الثلاث** [M]. بكين: دار نشر جامعة بكين، 1986.

[5] هونغ تشاو. **الإمبراطور شاو لي من شو هان، ليو بي** [M]. بكين: دار نشر تشونغهوا تشانغآن، 2007.

[6] تشانغ زوو ياو. **سيرة ليو بي** [M]. بكين: دار نشر الشعب، 2004.

[7] لو شون. **ملخص تاريخ الرواية الصينية** [C] // **تفسيرات مشاهير لرومنسية الممالك الثلاث**. جينان: دار نشر شاندونغ للشعب، 1998.

[8] هو شي. **مقدمة رومنسية الممالك الثلاث** [C] // **تفسيرات مشاهير لرومنسية الممالك الثلاث**. جينان: دار نشر شاندونغ للشعب، 1998.

[9] سونغ تشانغ لي. **بين المثالية والواقع — حول صورة ليو بي في رومنسية الممالك الثلاث** [C] // **تفسيرات مشاهير لرومنسية الممالك الثلاث**. جينان: دار نشر شاندونغ للشعب، 1998.

[10] تان ليانغ شياو. **البكاء يعكس عمق المشاعر — تحليل عاطفي لبكاء تساو تساو أربع عشرة مرة في حياته** [J]. مجلة جامعة شيهوا للمعلمين (فلسفة وعلوم اجتماعية)، 2019(6): 1-9.

[11] وو يو ليان. **دراسة شخصيات الممالك الثلاث تساو تساو، ليو بي، وسون تشوان كما وردت في السجلات التاريخية** [M]. تايبيه: دار نشر الأدب والتاريخ والفلسفة، 1989.